القراءات القرآنية

تاريخ وتعريف

تأليف
الدكتور عبد الهادي الفضلي

دار القلم
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٩٨٠

القراءات القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد :

فبين يدي القارىء الكريم الطبعة الثانية من الكتاب بعد أن أعدت النظر فيه بتصحيحه وتهذيبه حذفاً واضافة ، كما زدت فيه فصلا سابعا بعنوان (القراءات والتجويد) بحثت فيه الفرق بين القراءات والتجويد مبيناً نقاط الالتقاء بينهما ونقاط الافتراق في كل منهما .

واذ أضع الكتاب في طبعته الثانية بين يدي القراء الكرام أرجو أن أتلقى من نقدهم البناء وملاحظاتهم القيمة ما يرفع من مستوى الكتاب .

وأسأله تعالى أن ينفع به ويثيب عليه انه ولي التوفيق وهو الغاية .

المؤلف

مقدمة الطبعة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد :

فقد لا يختلف في أن القراءات القرآنية من أغنى تراثنا الثقافي بالفكر العربي والاسلامي ، ولا سيما في علوم اللغة العربية كالاصوات والتصريف والنحو والمعجميات ، وقد ألفت في جمع مادتها عشرات الكتب نثراً ونظماً ، منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ كتاب السبعة لابن مجاهد وكتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني وكتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري والروضة في القراءات الاحدى عشرة للحسن بن محمد البغدادي وغاية الاختصار للهمداني العطار والموضح لنصر بن علي والموجز للاهوازي ، والشاطبية نظم أبي القاسم الشاطبي وشروحها أمثال : فتح الوصيد للسخاوي وكنز المعاني للجعبري وكنز المعاني لشعلة وابراز المعاني لأبي شامة .

ودرس الاقدمون جوانب مختلفة منها ، وقد تمثل هذا واضحا في أمثال كتاب كنز المعاني لشعلة الذي كشف عن كنوز ثرة من اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، وكتاب ابراز المعاني لأبي شامة الذي توفر فيه مؤلفه على ابراز ثروة كبيرة في القراءات من المعاني النحوية والصرفية والصوتية ، وكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب الذي ربط فيه كل وجه من وجوه القراءات بأصله من واقع الاستعمال العربي ، وكتاب المحتسب لابن جني الذي درست فيه وفرة من القراءات الشواذ نحوياً ولغوياً .

وبحث المحدثون نواحي خاصة منها ، كما في أمثال الكتب التالية :

- أثر القراءات في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم علي .
- الامالة في القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي .
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين .
- اللهجات في القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي .

غير أنه بقي مجال مهم في القراءات القرآنية لم يقدر له أن يوفى حقه من الدراسة والبحث وهو تاريخ القراءات القرآنية والتعريف بها ، فقد ذكر شيء كثير منه متفرقاً في كتب طبقات القراء ومقدمات كتب القراءات ومقدمات كتب التفسير ، وفصول من كتب علوم القرآن وفصول من كتب تاريخ القرآن ، الى جانب اشارات هنا وهناك ، وكلها بالقدر الذي لم يأت مستوعباً لكل أطرافها ، أو مستوفياً لجميع جزئياتها ، مما يجعل المجال المذكور حلقة تكاد تكون مفقودة في سلسلة الدراسات العربية والاسلامية .

ومن هنا رأيت أن أقوم بمحاولة تدوين ما قد يعرّف بالقراءات : نشأتها وتطورها ، ومعناها ، والاختلاف في حقيقتها ، ومصادرها التي استقيت منها ، وأسباب الاختلاف فيها ، وأقسامها والفروق بينها ، وأركان كل قسم ، ومعنى الاختيار فيها ، وما اليها ، لعلي بهذا أضيف الحلقة المفقودة الى سلسلة الدراسات العربية والاسلامية .

وقد انتهجت في كتابة ما أشرت اليه ، طريقة عرض نصوص أقوال العلماء والمعنيين في كل مسألة ، مقارناً ومستدلاً ومنتهياً بعد ذلك الى نتيجة هي رأيي في المسألة .

وجاء الكتاب مصنفاً - في ضوء ما تقدم - الى الفصول التالية :

الفصل الاول : نشأة القراءات وتطورها .

الفصل الثاني : التعريف بالقراءات .

الفصل الثالث : مصادر القراءات .

الفصل الرابع : الاختلاف في القراءات واسبابه .

الفصل الخامس : الاختيار في القراءات .

الفصل السادس : المقياس القرائي .

الفصل السابع : القراءات والتجويد

واني لأرجو من المولى الكريم عز وجل أن ينفع به ويثيب عليه ، أنه ولي التوفيق ، وهو الغاية .

عبد الهادي الفضلي



الفصل الأول

نشأة القراءات وتطوّرها



نشأة القراءات وتطورها

مرت القراءات القرآنية بأدوار مختلفة قطعتها ضمن مراحل شتى ، متداخل بعضها في بعض ، حتى استقرت علما من علوم القرآن الكريم ، ومجالا من مجالات الدراسات النحوية ، واللغوية بشكل عام .

وتمثلت تلكم الأدوار التاريخية للقراءات في نشوئها تعليما لتلاوة آي القرآن الكريم وسوره ، فكان القرآن يقرأ للتعلم ، ثم تطورت الى تلاوة الآية وسوره فكان يقرأ لأجل التلاوة توخيا للثواب ، ثم الى حفظ القرآن كله أو بعضه عن ظهر قلب ، ومن بعد الى رواية تسند القراءة الى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فمجال تخصص تجرد له أساتذة وتلامذة ، ومنه الى علم ذي قواعد وأصول ، ومؤلفات وأبحاث ، قدمته مستويا على ساقه .

المرحلة الاولى :

وتمثلت المرحلة الأولى التي هي بمثابة نشوء للقراءة القرآنية بتعليم جبريل القرآن الكريم للنبي العظيم صلى الله عليه وسلم وذلك في بدء نزوله وبأول آية منه ، وبخاصة اذا كانت الآيات الأول هي الخمس الأول من سورة (العَلَق) ، كما يذهب الى ذلك معظم المفسرين ، حيث أعربت بوضوح عن اقراء وتعليم جبريل القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : (اقرأ) قال في مقدمة كتاب المباني :

« وقد انتشرت الأخبار أن أول ما نزل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (س ٩٦) : اقرأ باسم ربك »[١]

ويقول القرطبي في تفسيره : « ان هذه السورة (يعني العلق) أول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين ، نزل بها جبريل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو قائم على حراء فعلّمه خمس آيات من هذه السورة »[٢] .

والآيات الخمس هي : « إقــرأْ باســمِ ربـكَ الــذي خَـلَـقَ ـ خَـلَـقَ الانســانَ من علـقٍ ـ اقـرأ وربُــكَ الأكــرمُ ـ الــذي عَـلّـمَ بالقلـمِ ـ عَـلّـمَ الانســانَ ما لم يعـلــمْ » .

ومن الواضح أنها كانت قراءة تعليم بغية حفظ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن متلقياً بذلك الرسالة الالهية الى البشرية ، وفي دلالة قوله تعالى : (اقرأ) على ذلك غنى عن ذكر أقوال المفسرين .

المرحلة الثانية :

أما المرحلة الثانية فتمثلت في تطور القراءة من تعلم النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن وحفظه بعد إقراء جبريل إياه ، الى تعليم النبي صلى الله عليه وسلم واقرائه للمسلمين ، وقراءته أمام من يدعوهم الى الاسلام امتثالا لقوله تعالـى : (وقرآناً فـرَّقْـناه لتقرأ على الناس على مُـكْـثٍ ونزلناه تـنزيلا)[٣] .

وتعليم النبي صلى الله عليه وسلم واقراؤ ه المسلمين وقراءته لمن يدعوهم الى الاسلام من الثبوت بمكان لا تفتقر معه الى أي استدلال ، فقد ورد في هذا أحاديث كثيرة توفرت على ذكرها جوامع الحديث الشريف وتفاسير القرآن الكريم ، منها :

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ص ٤٦ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ١٠/٧٢٠٧ . ط ـ كتاب الشعب .

(٣) سورة الاسراء ١٠٦ .

١ ـ عن عثمان وابن مسعود وأبيّ : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها الى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل ، فيعلمهم القرآن والعمل جميعا »[١] .

٢ ـ عن أبي عبد الرحمن السُلمى : « قال : حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة : أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات فلا يأخذون العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل »[٢] .

وقال في مقدمة كتاب المباني : « انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما وعده الله ـ عز وجل ـ أن يحفظ القرآن له وعليه ويثبته في قلبه ، أمن نسيانه ، فعمل على أنه يحفظه على أمته ، ولا يزال يقرؤه عليهم ويقرئهم إياه ، ويعظهم به أحيانا ، ويعرفهم الفرائض ، والاحكام ، والمناسب من تأويله الذي يعرف بعد تلاوته[٣] » .

المرحلة الثالثة :

وتمثلت المرحلة الثالثة في تعليم بعض المسلمين البعض آي القرآن وسوره ، واقراءهم كذلك ، وكان يقع هذا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وارشاده ، وبقيامه بنفسه به أيضا .

« روى البخاري باسناده عن أبي اسحاق عن البراء قال : أول من قدم علينا (يعني الى المدينة) من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عُمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن ، ثم جاء عمّار وبلال ، ولما فتح صلى

---

(١) البيان للخوئي ٣٨ نقلا عن تفسير القرطبي ١/ ٣٩ .

(٢) م . ن ، نقلا عن بحار الانوار ١٩/ ٢٨ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٣ ، وفي المقدمة المذكورة يروى حديثا مسندا الى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم يحث فيه على قراءة سور القرآن الكريم واحدة واحدة ، مما يلقي الضوء على ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين الى القراءة .
والحديث طويل . راجعه من ص ٦٤ الى ٧٤ .

الله عليه وسلم مكة تركَ مُعاذ بن جَبَل للتعليم ، وكان الرجل اذا هاجر الى المدينة دفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل من الحَفَظَة ليعلّمه القرآن[1] » .

وجاء في خبر نزول مصعب بن عُمير المدينة : أنه نزل (دار القراء[2]) والاشارة اليها بهذا الاسم تعطينا صورة عن تميز القراء في مجتمع المسلمين آنذاك وتكوينهم ما يشبه المدرسة أو المعهد ، وان كنت أخال أن التسمية جاءتها بعد اشتهار الاقراء ومعلميه .

وقد سبقها تسمية مصعب بـ (المقرىء) « قال الحافظ مغلطاي هو (يعني مصعب) أول من سُمي المقرىء حين بعثه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلّم الأوس والخزرج القرآن في العقبة الأولى[3] » .

وجاء في حديث اسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ : « وكان خباب ابن الأرت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن[4] » .

المرحلة الرابعة :

والمرحلة الرابعة كانت بوجود جماعة عرفوا بتعاهدهم القرآن الكريم بتلاوته ، وتدارسهم آيه وسوره بينهم ، وكانوا يُسمّون (القرّاء) . وهي ـ فيما أخال ـ بداية التسمية وبدء نشوء هذا المصطلح ، مما يعطينا صورة جلية عن مدى انتشار القراءة في هذه المرحلة من تاريخ نشوئها ، وعن تحولها الى ظاهرة دينية تعني (التلاوة) بعد أن كانت تعنى تعلم القرآن لحفظه فتلاوته .

جاء في كتاب المغازي للواقدي : « وكان من الأنصار سبعون رجلا شَبَبَة يُسمّون (القراء) كانوا اذا أمسوا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا وصلوا[5] » .

---

(١) تاريخ القرآن للزنجاني ص ٣٥ ط ٣ .
(٢) فجر الاسلام ١٤٢ .
(٣) غاية النهاية ٢ / ٢٩٩
(٤) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام ١ / ٣٦٦ (محي الدين) .
(٥) ٢ / ٣٤٧ مطبعة جامعة اكسفورد .

وهم الذين قتلوا في غزوة (بئر معونة) التي وقعت في شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

وجاء في طبقات الذهبي : « قال أيوب : سمعت أبا قلابة عن أبي المهلب قال : كان أبيّ يختم القرآن في ثمان ـ اسناده صحيح[1] » .

ومما يؤكد أيضا شيوع التسمية كمصطلح أو ما يشبه المصطلح وجود قارئين عرفوا بالقراءة وبتعاهدهم القرآن بها ، أمثال الأحاديث التالية التي رواها الذهبي في (معرفة القراء ١/٣٣) :

١ ـ ما رواه حمّاد بن مسلمة عن عاصم الأحول عن أبي قلابة : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أقرؤهم أُبي بن كعب[2] » .

٢ ـ ما رواه أبو وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول : استقرئوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب[3] » .

٣ ـ قول عمر رضي الله عنه ـ : أقضانا علي وأقرؤنا أُبي .

٤ ـ وحديث مقدمة المباني : وهو : قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من سَرَّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد[4] . (يعني عبد الله بن مسعود) .

المرحلة الخامسة :

وتتمثل المرحلة الخامسة في تصدي بعض الصحابة لحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وقيامهم بذلك .

---

(١) معرفة القراء ١/٣٣ .

(٢) وفي رواية : « اقرؤكم أُبي بن كعب »

(٣) في صحيح البخاري ٦/ ٢٢٩ . خذوا القرآن .. الخ .

(٤) مقدمتان في علوم القرآن ص ٣٦ .

فـ « في كثير من الأحاديث أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ حفظ القرآن في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[1] » .

ويعد الذهبي في كتابه (معرفة القراء) سبعة ممن حفظوا القرآن في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم : أبي بن كعب (ت ٢٠ هـ) وعبد الله ابن مسعود (ت ٣٢ هـ) وأبو الدرداء عويمر بن زيد (ت ٣٢ هـ) وعثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ) وعلي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ) وأبو موسى الأشعري (ت ٤٤ هـ) وزيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) . معقباً بقوله : « فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخذ عنهم عرضا ، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة[2] » .

---

(١) تاريخ القرآن للزنجاني ص ٤٠ ط ٣ .

(٢) ١/ ٣٩ . والأئمة العشرة هم :

١ ـ عبد الله بن عامر اليحصبي مقرىء الشام (٨ هـ ـ ١١٨ هـ) قرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي وأبي الدرداء وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان وقرأ عثمان وأبو الدرداء على النبي صلى الله عليه وسلم .

ـ وراوياه هما : هشام بن عمار الدمشقي المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، وعبد الله بن أحمد الدمشقي المتوفى سنة ٢٤٢ هـ المعروف بـ (ابن ذكوان) .

٢ ـ عبد الله بن كثير مقرىء مكة (٤٥ هـ ـ ١٢٠ هـ) ، قرأ على عبد الله بن السائب ومجاهد بن جبر ودرباس مولى ابن عباس ، وقرأ عبد الله بن السائب على أبي بن كعب وعمر بن الخطاب ، وقرأ مجاهد على ابن السائب وابن عباس ، وقرأ درباس على ابن عباس ، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وقرأ أبي بن كعب وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت على النبي صلى الله عليه وسلم .

وراوياه هما : أحمد بن محمد بن أبي بزّة المكي المتوفى سنة ٢٥٠ هـ المعروف بـ (البزي) ، ومحمد بن عبد الرحمن المكي المتوفى سنة ٢٩١ هـ المعروف بـ (قنبل) .

٣ ـ عاصم بن أبي النجود الكوفي (. . . ـ ١٢٩ هـ) قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وراوياه هما : حفص بن سليمان الدوري المتوفى سنة ١٨٠ هـ ، وأبو بكر شعبة بن عياش الحناط المتوفى سنة ١٩٣ هـ .

٤ ـ أبو عمر بن العلاء مقرىء البصرة (٦٨ هـ ١٥٤ هـ) قرأ على اعلام القراءة في مكة كمجاهد وابن كثير ، وفي المدينة كأبي جعفر ، وفي البصرة كيحيى بن يعمر والحسن البصري ، وفي الكوفة على عاصم وكلهم يتصل أسناده صحيحا الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وراوياه هما : حفص بن عمرو الدوري المتوفى سنة ٢٤٦ هـ ، وصالح بن زياد السوسي المتوفى سنة ٢٦١ هـ .

٥ - حمزة بن حبيب الزّيات الكوفي (٨٠ - ١٥٦ هـ) قرأ على سليمان الأعشى وجعفر الصادق وحمران ابن أعين والمنهال بن عمرو وغيرهم كلهم باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وراوياه هما : خلاد بن خالد الصيرفي المتوفى سنة ٢٢٠ هـ وخلف ابن هشام البزار المتوفى سنة ٢٢٩ هـ .

٦ - نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم مقرىء المدينة (... - ١٦٩ هـ) قرأ على ابي جعفر وعبد الرحمن بن هرمز ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم وجميعهم بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وراوياه هما : عثمان بن سعيد الملقب بـ (ورش) المتوفى سنة ١٩٧ هـ وعيسى بن ميناء الملقب بـ (قالون) المتوفى سنة ٢٢٠ هـ .

٧ - علي بن حمزة الكسائي الكوفي (... - ١٨٧ هـ) . قرأ على حمزة وشعبة واسماعيل بن جعفر وغيرهم ، والجميع باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وراوياه هما : حفص بن عمر الدوري راوية أبي عمرو بن العلاء والليث بن خالد البغدادي المتوفى سنة ٢٤٠هـ .

وهؤلاء هم القراء السبعة ، أصحاب القراءات السبع . وبقية العشرة هم :

٨ - أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني المتوفى سنة ١٣٠ هـ . قرأ على ابن عباس وأبي هريرة وعبد الله ابن عياش عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وراوياه هما : عيسى الحذّاء المعروف بابن وردان المتوفى حدود سنة ١٦٠ هـ وسليمان بن مسلم الزهري المعروف بابن جماز المتوفى بعيد سنة ١٧٠ هـ .

٩ - يعقوب بن اسحاق الحضرمي المتوفى سنة ٢٠٥ هـ . قرأ على سلام بن أبي سليمان الطويل ومهدي ابن ميمون وغيرهما بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وراوياه هما : روح عبد المؤمن المتوفى سنة ٢٣٥ هـ ، ومحمد بن المتوكل اللؤلؤي المعروف بـ (رويس) المتوفى سنة ٢٣٨هـ .

١٠ - خلف بن هشام البزار المتوفى سنة ٢٢٩ هـ . قرأ على يعقوب الأعشى وسعيد بن أويس وغيرهما بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وراوياه هما : ادريس بن عبد الكريم الحداد المتوفى سنة ٣٩٢ هـ . واسحاق بن ابراهيم المروزي المعروف بـ (الوراق) المتوفى سنة ٢٨٦ هـ .

المرحلة السادسة :

وفيها تحولت القراءة الى تلمذة أو رجوع الى حَفَظَة القرآن أمثال الصحابة الذين تقدم ذكر أسمائهم ، أو الى من عرفوا بها ، للقراءة عليهم ، وللأخذ عنهم .

والطبقة الثانية في تصنيف وترتيب الذهبي توقفنا على ذلك بوضوح ، ففيها يذكر أن أبا هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش وأبا العالية الرياحي قرؤوا على أُبي بن كعب ، وأن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي قرأ على عثمان ، وأن الأسود بن يزيد النخعي أخذ القراءة عرضا عن ابن مسعود ، وكذلك علقمة بن قيس أخذها عن ابن مسعود ، وأن أبا عبد الرحمن السلمي عرض على عثمان وعلي وابن مسعود[1] .

وكانت الكوفة من أشهر المدن الاسلامية بعد المدينة المنورة عناية بالقرآن الكريم وقراءاته ، فقد « شغل أهل الكوفة منذ وقت مبكر من تأسيسها بالقرآن الكريم : قراءته واقرائه وتفسيره ، وقد وصفهم عمر بن الخطاب بأن لهم دوياً بالقرآن كدوي النحل »[2] .

وكانت أوليات تلمذتهم على ابن مسعود الذي بعث به عمر اليهم كما ستأتي الاشارة اليه .

والمرحلة هذه لم تتعد النصف الاول من القرن الاول الهجري ، فآخر من توفي من الصحابة الحَفَظَة الذين مر ذكرهم زيد بن ثابت الذي كانت وفاته عام ٤٥ هـ .

المرحلة السابعة :

ويبدو أنه بعد أن استقرت القراءة القرآنية مادة تُتلقى وتدرّس وفي مجال من ذكرت

---

(١) راجع معرفة القراء : ١/ الطبعة الثانية .

(٢) حياة الشعر في الكوفة ٢٤٥ .

أسماؤهم من حَفَظَة وقارئين عليهم ، وأمثالهم ، بدأت وجوه القراءة المختلفة تأخذ طرقها في الرواية ومساراتها في النقل .

ويدلنا على هذا ما جاء في أول كتاب (القراءات) لأبي عبيد القاسم بن سلام في ذكر أسماء من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة ، وهم :

سالم مولى أبي حذيفة (ـ ١٢ هـ) وأبو بكر (ـ ١٣ هـ) وعمر (ـ ٢٣ هـ) وابن مسعود (٣٢ هـ) وعثمان (ـ ٣٥ هـ) وحذيفة (٣٥ هـ) وطلحة (٣٦ هـ) وعلي (٤٠ هـ) وسعد (٥١ هـ) وعمرو بن العاص (ـ ٥٨ هـ) وأبو هريرة (ـ ٥٩ هـ) ومعاوية (ـ ٦٠ هـ) وابن عمر (ـ ٦٣ هـ) وعبد الله بن عمرو بن العاص (ـ ٦٥ هـ) وابن عباس (ـ ٦٨ هـ) وعبد الله بن السائب (ـ حدود ٧٠ هـ) وابن الزبير (ـ ٧٣ هـ) وحفصة (ـ ٤٥ هـ) وعائشة (ـ ٥٨ هـ) وأم سلمة (٦٢ هـ) . وكلهم من المهاجرين .

ومن الأنصار : أُبي بن كعب (ت ٢٠ هـ) وأبو الدرداء (ت ٣٢ هـ) ومعاذ بن جبل (ت ٣٣ هـ) وزيد بن ثابت (٤٥ هـ) ومجمع بن جارية (توفي في خلافة معاوية) وأبو زيد[١] وأنس بن مالك (ت ٩١ هـ)[٢] .

والمرحلة هذه لم تتعد القرن الأول الهجري .

وكان شيوع ظاهرة اختلاف القراءات فيها ، في النصف الأول من القرن الأول ، كما يفهم هذا من وفيات المذكورين من الصحابة رضي الله عنهم .

---

(١) اسمه قيس بن السكن ـ كما يرجحه ابن حجر ـ وهو ممن جمعوا القرآن على عهد النبي (ص) ومات قديماً بعد السبعين من الهجرة ، راجع : الاصابة في تمييز الصحابة م . الشرقية ١٣٢٥ - ١٩٠٧ : ٥/ ٢٢٥ و٧/ ٧٦ . . وذكر ابن كثير : انه قتل يوم جسر ابي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة . راجع : فضائل القرآن ٤٧ .

(٢) النشر ١/ ٦ .

المرحلة الثامنة :

والمرحلة الثامنة تتمثل في تعيين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه مقرئاً خاصاً لكل مصر من الأمصار التي بعث اليها بمصحف بعد توحيده المصاحف وذلك ليقرء الناس بمصحفه .

ومبعوثو عثمان هم :

١ ـ عبد الله بن السائب المخزومي (ت حدود ٧٠ هـ) الى مكة .

٢ ـ أبو عبد الرحمن السُلمى (ت ٤٧ هـ) الى الكوفة ، الذي مكث يعلّم الناس من إمارة عثمان الى أيام الحجّاج . قالوا : وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلّم فيه القرآن سبعين سنة[١] .

وكان فيها قبله ابن مسعود الذي بعث به عمر بن الخطاب اليها معلماً ووزيراً ـ كما جاء في كتابه الى أهلها ـ والذي التف حوله أصحاب له وتلامذة « وصفوا بأنهم (سُرج الكوفة) يأخذون عنه القرآن ويقرئونه للناس ويتلقون عنه العلم ويذيعونه فيهم[٢] » .

٣ ـ عامر بن عبد قيس (حوالي ٥٥ هـ) الى البصرة .

٤ ـ المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ـ نيف وسبعين للهجرة) الى الشام .

٥ ـ وعيّن زيد بن ثابت (ـ ٤٥ هـ) أن يقرىء في المدينة[٣] .

وكان هذا في سنة خمس وعشرين من الهجرة كما يقول الحافظ العسقلاني أو في حدود سنة ثلاثين من الهجرة كما يذكر ابن الجزري[٤] .

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ٦٤ .

(٢) حياة الشعر في الكوفة ٢٤٤ .

(٣) تاريخ القرآن للزنجاني ٦٧ ، في الدراسات القرآنية ١٢ .

(٤) لطائف الاشارات ١/ ٥٨ .

وقد توخّى عثمان في اختيار هؤلاء الموفدين أن يكون مع كل مصحف قارىء توافق قراءته أهل ذلك المصر في الأكثر الأغلب[1] .

وذلك لأن عثمان أمر أن تكتب المصاحف الأئمة مختلفة الرسم وفق اختلاف القراءات المعتبرة في بعض الحروف كما في (قال موسى) ـ في القصص ـ حيث كتبت بلا واو في مصحف مكة وبواو في سائر المصاحف وأن تكتب في بعض الحروف الأخرى بصورة تحتمل الكلمة معها وجوه القراءة المختلفة فيها كما في (يخدعون) في البقرة ـ حيث كتبت بغير ألف لتحتمل قراءة (يخادعون) ، بالألف ، وكما في الياءات الزوائد[2] .

ونصُّ المهدوي التالي يشير الى ذلك أيضاً قال : وانما أقر عثمان ومن اجتمع على رأيه من سلف الامة هذا الاختلاف في النسخ التي اكتتبت وبعثت الى الامصار لعلمهم أن ذلك من جملة ما أنزل عليه القرآن فأقر ليقرأه كل قوم على روايتهم[3] ومن هنا كانت قراءة كل أهل قطر تابعة لرسم مصحفهم[4] وقد اختلف في عدد المصاحف التي كتبها عثمان ، والمشهور أنها خمسة وهي المذكورة هنا ، كما عزاه السيوطي الى السخاوي في (الوسيلة شرح الرائية المسماة بالعقلية)[5] .

وفي هذه المرحلة وبسبب ما هدف اليه عثمان من جمع المسلمين في تلاوتهم للقرآن على القراءات المعتبرة التي وزعها على مواضعها باختلاف المرسوم أو بتحمله لها كما أشرت اليه . أقول في هذه المرحلة كان بدء التفرقة بين القراءات المعتبرة والقراءات الاحادية والشاذة وبدء دخول شرط مطابقة الرسم في اعتداد القراءة المعتبرة « قال القاضي أبو بكر في الانتصار : لم يقصد عثمان مقصد أبي بكر في جمع نفس القرآن

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٤٠٦ .

(٢) الياءات الزوائد : هي الياءات المحذوفة رسما .

(٣) هجاء مصاحف الامصار ١٢١ .

(٤) غيث النفع ٢١٨ .

(٥) نشر المرجان ١/ ٧

بين لوحين وانما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف واحد باتفاق المهاجرين والانصار لما خشي الفتنة باختلاف أهل العراق والشام في بعض الحروف »[1] .

ومن المظنون قويا أن الاختلافات التي وقعت بين أهل العراق وأهل الشام وغيرهم والتي كانت سببا في توحيد المصاحف وجمع المسلمين على القراءات المعتبرة كانت بدءاً أيضا لانتشار القراءات الشاذة ، وقد نلمس هذا في خبر حذيفة بن اليمان فقد « اخرج ابن أبي داود من طريق يزيد بن معاوية النخعي قال : اني لفي المسجد (مسجد الكوفة) زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة فسمع رجلا يقول قراءة عبد الله بن مسعود ، وسمع آخر يقول : قراءة أبي موسى الاشعري ، فغضب حذيفة ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : هكذا كان من قبلكم ، اختلفوا ، والله لاركبن الى أمير المؤمنين[2] » .

وذلك لأن فيه ذكراً لقراءة ابن مسعود التي انطوت على كثير من نصوص القراءات الشاذة والتي شذذت بسبب مخالفتها ـ في الغالب ـ للرسم .

المرحلة التاسعة

وتأتي المرحلة التاسعة في اقبال نفر من كل مصر على المصحف العثماني وقراءته وفق ما تلقوه من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم فكان في كل مصر قراء ، كما كان الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهم ، كما جاء في النشر[3] :

١ ـ في المدينة : معاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارىء (ت ٦٣ هـ) وسعيد بن

---

(١) المواهب الفتحية ٢/ ٨٦ .

(٢) القراءات واللهجات ص ٩٤ نقلا عن كتاب المصاحف

(٣) ١/ ٨ .

المسيب (ت ٩٤ هـ) وعروة بن الزبير (ت ٩٥ هـ) وعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ) وعطاء بن يسار (ت ١٠٣ هـ) وسالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٦ هـ) وسليمان بن يسار (ت ١٠٧ هـ) ومسلم بن جندب (ت ١١٠ هـ) وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج (ت ١٧ هـ) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) وزيد بن أسلم (ت ١٣٠ هـ) .

٢ ـ في مكة : عُبيد بن عُميرات (ت ٧٤ هـ) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ) وطاووس بن كيسان (ت ١٠٦ هـ) وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥ هـ) وعبد الله ابن أبي مُليكة (ت ١١٧ هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت قبل ٢٠٠ هـ) .

٣ ـ في الكوفة : عمرو بن شرحيل (ت بعد ٦٠ هـ) وعلقمة بن قيس (ت ٦٢ هـ) ومسروق بن الأجدع (ت ٦٣ هـ) وعبيد بن عمرو السلماني (ت ٧٢ هـ) وأبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت ٧٤ هـ) والاسود بن يزيد النخعي (ت ٧٥ هـ) وعمرو بن ميمون (ت ٧٥ هـ) وعبيد بن نضلة (ت حدود ٧٥ هـ) وزر بن حبيش (ت ٨٢ هـ) والربيع بن خيثم (ت قبل ٩٠ هـ) وسعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ) وابراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٦ هـ) وعامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٥ هـ) والحارث بن قيس الجعفي (روى عن ابن مسعود) وأبو زرعة بن عمرو بن جرير .

٤ ـ في البصرة : عامر بن عبد قيس (ت حوالي ٥٥ هـ) وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت ٩٠ هـ) ويحيى بن يعمرالعدواني (ت ٩٠ هـ) ونصر بن عاصم الليثي (ت قبل المئة) وأبو رجاء العطاردي (ت ١٠٥ هـ) والحسن البصري (ت ١١٠ هـ) ومحمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١٧ هـ) . ومعاذ بن معاذ العنبري (ت ١٩٦ هـ) وجابر بن زيد الازدي .

٥ ـ في الشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت نيف وسبعين) وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء[1] وفي هذه المرحلة كان ما يعرف عند القراء بالاختيار

---

(١) ترجم لاكثرهم طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة ١/ فصل علم القراءة .

ويأتي التعريف به في موضعه . وقد شملت هذه المرحلة النصف الثاني من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري ، كما هو بيّن من التواريخ المذكورة .

المرحلة العاشرة :

وهي التي يقول فيها ابن الجزري : « ثم (أي بعد أولئك الذين تقدم ذكرهم في أعلاه) تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية ، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ، ويرحل اليهم ، ويؤخذ عنهم ، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ، ولم يختلف عليهم فيها اثنان ، ولتصديهم للقراءة نسبت اليهم .

فكان بالمدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠ هـ)[1] ثم شيبة بن نصاح (ت ١٣٠ هـ) ثم نافع بن أبي نُعيم (ت ١٦٩ هـ) .

وكان بمكة : عبد الله بن كثير (ت ١٢٠ هـ) وحُميد بن قيس الأعرج (ت ١٣٠ هـ) ومحمد بن محيصن (ت ١٢٣ هـ) .

وكان بالكوفة . . يحيى بن وثاب (ت ١٠٣ هـ) وعاصم بن أبي النجود (ت ١٢٩ هـ) وسليمان الأعمش (ت ١٤٨ هـ) ثم حمزة (ت ١٥٦ هـ) ثم الكسائي (ت ١٨٩ هـ) .

وكان بالبصرة : عبد اللّه بن أبي اسحاق (ت ١٢٩ هـ) وعيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ثم عاصم الجحدري (ت ١٢٨ هـ) ثم يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) .

وكان بالشام : عبد اللّه بن عامر (ت ١١٨ هـ) وعطية بن قيس الكلابي (ت ١٢١ هـ) واسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذماري (ت

---

(١) اختلف في سنة وفاته على أقوال هي : ١١٠ هـ - ١٢٧ هـ - ١٢٨ هـ - ١٢٩ هـ - ١٣٠ هـ - ١٣٢ هـ .

١٤٥ هـ) ثم شريح بن يزيد الحضرمي (ت ٢٠٣ هـ)[1] » .

وهذا التخصص من هؤلاء القراء وأمثالهم وفر المادة لوضع علم القراءات وتدوينه والتأليف فيه .

وقد بدأت هذه المرحلة في أواخر القرن الاول الهجري وأوائل القرن الثاني الهجري .

المرحلة الحادية عشرة :

وهي مرحلة بدء التأليف في القراءات وتدوينها .

ويختلف المؤرخون في أول من ألّف فيها ، فذهب الأكثر الى أنه أبو عبيد القاسم ابن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، وحسب ابن الجزري في غاية النهاية أنه أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، وذهب السيد حسن الصدر في كتابه (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام) الى أنه أبان بن تغلب الكوفي (ت ١٤١ هـ) .

وبعد تتبعي للمسألة ـ في ما وقفت عليه من مصادر ومراجع ـ رأيت أن أول من ألف في القراءات هو يحيى بن يعمر (ت ٩٠ هـ) ثم تتابع التأليف بعده .

وقد حاولت فهرسة أسماء من ألف في القراءات حتى تسبيع ابن مجاهد للقراءات السبع ، ووفق تاريخ التأليف فكانت كالآتي :

١ ـ يحيى بن يعمر (ت ٩٠ هـ) ، قال ابن عطية : « وأما شكل المصحف ونقطه فروى أن عبد الملك بن مروان أمر به وعمله[2] فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجدّ فيه ، وزاد تحزيبه وأمر ـ وهو والي العراق ـ الحسن ويحيى بن يعمر بذلك ، وألف[3] أثر ذلك بواسط كتاباً في القراءات جمع فيه ما روى من اختلاف الناس فيما وافق

---

(١) النشر ١/٨ ـ ٩ .

(٢) هكذا عبارة الكتاب وأخال أنها (أمر به عماله) .

(٣) يعني يحيى بن يعمر .

الخط ، ومشى الناس على ذلك زماناً طويلا الى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات[1] .

٢ ـ أبان بن تغلب الكوفي (ت ١٤١ هـ) ، قال ابن النديم في الفهرست : « أبان ابن تغلب وله من الكتب : كتاب معاني القرآن ، لطيف كتاب القراءات »[2] .

٣ ـ مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) ، له كتاب القراءات .

٤ ـ أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ، له كتاب القراءات .

٥ ـ حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ) .

٦ ـ زائدة بن قدامة الثقفي (ت ١٦١ هـ) له كتاب القراءات .

٧ ـ عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر (ت ١٧٧ هـ) ، قال أبو علي الاصفهاني عنه « صنف كتبا كثيرة في القراءات والعربية[3] » .

٨ـ هارون بن موسى الاعور (ت حوالي ١٧٠ ـ ١٨٠ هـ) قال ابن الجزري في غاية النهاية : « قال أبو حاتم السجستاني : كان اول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألفها وتتبع الشاذ منها فبحث في اسناده هارون بن موسى الاعور ، وكان من القراء[4] » .

٩ ـ هشيم بن بشير السلمي (ت ١٨٣ هـ) ، قال ابن النديم « وله من الكتب : كتاب السنن في الفقه . كتاب التفسير . كتاب القراءات[5] » .

١٠ ـ العباس بن الفضل الأنصاري (ت ١٨٦ هـ) ، له كتاب القراءات .

١١ ـ علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ) أحد القراء السبعة[6] .

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ٢٧٥ .

(٢) ص ٢٢٠ خياط .

(٣) أبو علي الفارسي ص ١٨ نقلا عن منجد المقرئين ص ٤ .

(٤) ٢/٣٤٨ .

(٥) الفهرست ٢٨٤ ط جامعة طهران .

(٦) راجع : روضات الجنات ٤٧٢ .

١٢ ـ اسحاق بن يوسف الازرق (ت ١٩٥ هـ) له كتاب القراءات .

١٣ ـ يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ)،له كتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء[١] .

١٤ ـ يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ) له كتاب القراءات .

١٥ ـ يعقوب بن اسحاق الحضرمي (٢٠٥ هـ) ، واسم مؤلفه (**الجامع**) « جمع فيه عامة اختلاف وجوه القرآن ، ونسب كل حرف الى من قرأ به[٢] » .

١٦ ـ أبو زيد الأنصاري النحوي (ت ٢١٥ هـ) له كتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء .

١٧ ـ أبو ذهل أحمد بن أبي ذهل الكوفي ، روى القراءة عن الكسائي ، له كتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء .

١٨ ـ المغيرة بن شعيب التميمي ، روى الحروف عن الكسائي ، له كتاب قراءة الكسائي .

١٩ ـ عبد الرحمن بن واقد الواقدي (ت ٢٠٩ هـ) ، له كتاب الكسائي[٣] وله كتاب القراءات أيضا[٤] .

٢٠ ـ أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ) . قال ابن الجزري في النشر[٥] : « فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب : أبو عبيد القاسم بن سلام وجعلهم ـ فيما أحسب ـ خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة » .

٢١ ـ خلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩ هـ) .

٢٢ ـ محمد بن سعدان الضرير الكوفي (ت ٢٣١ هـ) .

---

(١)فهرست ابن النديم ٢٨ (خياط) وتاريخ التراث العربي ١/ التفسير وفهرس الظاهرية/ قسم علوم القرآن .

(٢) أنباء الرواه ٤/ ٤٥ .

(٣) الفهرست ص ٣٠ خياط .

(٤) الفهرست ص ٣٥ خياط .

(٥) ١/ ٣٤ وراجع الفهرست ص ٣٥ .

٢٣ ـ عبد الصمد بن عبد الرحمن أبو الازهر المصري (ت ٢٣١ هـ) له كتاب قراءة نافع وحمزة[١] .

٢٤ ـ سُريج بن يونس المروزي البغدادي (ت ٢٣٥ هـ) له كتاب القراءات .

٢٥ ـ عبد اللّه بن أحمد الدمشقي المعروف بابن ذكوان (ت ٢٤٢ هـ) نقل عن كتابه ابن مجاهد في (السبعة) في اكثر من موضع راجع ـ مثالا على ذلك ـ ص ٥٦٣ .

٢٦ ـ أبو عمرو الدوري (ت ٢٤٦ هـ)[٢] .

٢٧ ـ هارون بن حاتم الكوفي (ت ٢٤٩ هـ) له كتاب القراءات .

٢٨ ـ نصر بن علي الجهضمي (ت ٢٥٠ هـ) له كتاب القراءات .

٢٩ ـ أحمد بن يزيد الحلواني (ت ٢٥٠ هـ) له كتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء .

٣٠ ـ أحمد بن محمد البزّي المكي المتوفى سنة ٢٥٠ له كتاب في القراءات نقل عنه الداني في المفردات السبع ، راجع مثالا على ذلك ص ١٠٥ .

٣١ ـ اسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري (ت ٢٥٢ هـ) له كتاب في القراءات[٣] .

٣٢ ـ أبو عبد الله محمد بن عيسى الاصبهاني (ت ٢٥٣ هـ) له كتاب الجامع في القراءات[٤] .

٣٣ ـ أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٥٥ هـ) ، قال ابن الجزري في غاية النهاية[٥] : وأحسبه أول من صنف في القراءات . ولعله يشير بهذا الى سبقه القاسم ابن سلام في التأليف .

---

(١) غاية النهاية ١/ ٢٣ .
(٢) راجع مقدمة كتاب السبعة للدكتور شوقي ضيف ص ١١ .
(٣) معجم المؤلفين ٢/ ٢٣١ .
(٤) غاية النهاية ٢/ ٢٢٤ .
(٥) ١/ ٣٢٠ وراجع الفهرست ص ٣٥ .

وقال الفيروز أبادي : « ولاهل البصرة أربعة كتب يفتخرون بها على أهل الأرض :[1] كتاب العين للخليل ، وكتاب سيبويه ، وكتاب الحيوان للجاحظ ، وكتاب أبي حاتم في القراءات » .

٣٤ ـ أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية (ت ٢٥٨ هـ) ، قال في النشر[2] « جمع كتابا في قراءات الخمسة من كلِ مصر واحد » . وقال في الابانة : « وقد ألف ابن جبير المقرىء ـ كان قبل ابن مجاهد ـ كتابا في القراءات وسماه كتاب الثمانية » وزاد على هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمي[3] .

٣٥ ـ عبد الوهاب بن فُليّح المكي (ت ٢٧٣ هـ) له كتاب حروف المكيين[4] .

٣٦ ـ عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) ، (ت ٢٧٦ هـ) .

٣٧ ـ القاضي اسماعيل بن اسحاق المالكي (ت ٢٨٢ هـ) قال في النشر[5] : « ألف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين اماما منهم هؤلاء السبعة » .

٣٨ ـ الفضل بن شاذان (ت حدود ٢٩٠ هـ) له كتاب القراءات .

٣٩ ـ أحمد بن يحيى (ثعلب النحوي) ، (ت ٢٩١ هـ) .

٤٠ ـ هارون بن موسى بن شريك التغلبي (ت ٢٩٢ هـ) « صنف كتبا كثيرة في القراءات والعربية[6] .

٤١ ـ محمد بن اسحاق الربعي المكّي المعروف بـ (أبي ربيعة) المتوفى (٢٩٤ هـ) صنف كتابا في روايتي البزّي وقُنبل عن ابن كثير كما ورد ذلك في غاية النهاية[7] .

---

(١) البلغة ٩٤ .

(٢) ١/٣٤ .

(٣) ص ٥١ ويفهم من اختلاف الروايتين أن لابن جبير كتابين في القراءات أحدهما في القراءات الخمس وثانيهما في القراءات الثماني .

(٤) غاية النهاية ٢/٢٢٢ .

(٥) ١/٣٤ .

(٦) غاية النهاية ٢/٣٤٧ .

(٧) ٢/٩٩ .

٤٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، قال في النشر[١] : « جمع كتابا حافلا سماه (الجامع) فيه نيف وعشرون قراءة » .

٤٣ ـ يحيى بن محمد بن صاعد (ت ٣١٨ هـ) ، له كتاب القراءات .

٤٤ ـ أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني (ت ٣٢٤ هـ) ، قال في النشر[٢] : « جمع كتابا في القراءات وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة[٣] » .

ويلاحظ في هذه الكتب المذكورة : أنها لم تؤلف في قراءات السبعة فقط وبخاصة أن فيها ما هو سابق على بعض القراء السبعة كمؤلف يحيى بن يعمر وأبان بن تغلب وكذلك مؤلف أبي عمرو بن العلاء وحمزة بن حبيب الزيات حيث توفي آخر القراء السبعة وهو علي بن حمزة الكسائي سنة ١٨٩ هـ. وكان بدء هذه المرحلة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ،وعلى يد يحيى بن يَعْمُر المتوفى سنة ٩٠ هـ ، كما رأينا ، وكما أشار اليه المستشرق فؤاد سزكين ، غير أنه (أعني سزكين) ثنّى كتاب يحيى بن يعمر بكتاب آخر لابن عامر المقرىء المتوفى سنة ١١٨ هـ وموضوعه (اختلاف المصاحف) ، كما سماه هو باسمه الدال عليه وهو (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق[٤]) وفرق بين القراءات ورسم المصاحف لأنهما فنان أو علمان متمايزان من علوم القرآن الكريم .

ومن الغريب ما وقع فيه سزكين من وَهْم ـ وهو يؤرخ للتأليف في القراءات ـ وهو اعتباره اختيار ابن محيصن ـ المتوفى سنة ١٢٣ هـ ـ في القراءة على مذهب العربية ، واختيار عيسى بن عمر الثقفي ـ المتوفى سنة ١٤٩ هـ ـ كتابين في القراءات .

---

(١) ١/٣٤ .

(٢) م . ن .

(٣) راجع لمن لم تذكر مصادرهم في الهامش : الفهرست لابن النديم ط خياط ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ .

(٤) تاريخ التراث العربي ـ القراءات .

وربما عاد هذا ـ فيما أخاله ـ الى عدم معرفته التامة بتعابير ومصطلحات القراءة [1]

المرحلة الثانية عشرة :

في هذه المرحلة كان تسبيع السبعة والاقتصار على جمع قراءاتهم في مؤلف خاص ، وكان ذلك من قبل أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي المتوفى سنة ٣٢٤ هـ في كتابه الموسوم بـ (قراءات السبعة) .

ويعلل مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) ذلك الاقتصار على القراءات السبع بقوله : « فان سأل سائل فقال : ما العلة التي من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هو فوقهم ، فنسبت اليهم السبعة الأحرف مجازا ، وصاروا في وقتنا أشهر من غيرهم ممن هو اعلى درجة منهم وأجل قدرا ؟ .

فالجواب : ان الرواة من الائمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرا في العدد ، كثيرا في الاختلاف ، فأراد الناس في العصر الرابع ان يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به ، فنظروا الى امام مشهور بالثقة والامانة وحسن الدين وكمال العلم ، قد طال عمره ، واشتهر أمره وأجمع أهل عصره على عدالته فيما نَقَل ، وثقته فيما قرأ وروى ، وعلمه بما يقرأ ، فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب اليهم ، فأفردوا من كل عصر وجّه اليه عثمان مصحفا ، إماماً هذه صفته ، وقراءته على مصحف ذلك المصر .

فكان أبو عمرو من أهل البصرة .

وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها .

والكسائي من أهل العراق .

---

(١) راجع : تاريخ التراث العربي ، الباب الأول ـ القراءات . وراجع أيضا للوقوف على ما ذكرت : غاية النهاية لابن الجزري في ترجمتي ابن محيصن والثقفي .

وراجع فهرست ابن النديم في مؤلفات اختلاف رسم الصحف .

وابن كثير من أهل مكة .

وابن عامر من أهل الشام .

ونافع من اهل المدينة .

كلهم ممن اشتهرت امامته ، وطال عمره في الاقـراء ، وارتحـال النـاس اليه من البلدان[1] » .

ويقول الفضل بن الحسن الطبرسي ـ المتوفى سنة ٥٤٨ هـ : « وانما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم لسببين :

أحدهما : أنهم تجـردوا لقـراءة القـرآن ، واشتـدت بذلك عنايتهـم ، مع كثـرة علمهم ، ومن كان قبلهم أو في أزمنتهم ، ممن نسب الى القراءة من العلماء ، وعدّت قراءتهم في الشواذ ، لم يتجردوا لذلك تجردهـم ، وكان الغالـب علـى أولئك الفقه أو الحديث أو غير ذلك من العلوم .

والآخر : أن قراءتهم وجدت مسندة لفظا أو سماعا ، حرفا حرفا ، من اول القرآن الى آخره ، مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن[2] » .

وجاء في اتحاف فضلاء البشر للدمياطي البنا ـ المتوفى سنة ١١١٧ هـ « ثم ليعلم أن السبب الداعي الى أخذ القراءة عن القراء المشهورين دون غيرهـم : أنـه لما كثـر الاختلاف فيما يحتمله رسم المصاحف العثمانية التي وجّه بها عثمان ـ رضي الله عنه ـ الى الأمصار (الشام واليمن والبصرة والكوفـة ومـكة والبحـرين) وحبس بالمدينـة واحداً وأمسك لنفسه واحداً الذي يقال له الامام ، فصـار أهـل البـدع والأهـواء يقرؤون بما لا يحل تلاوته وفاقاً لبدعتهم ، أجمع رأي المسلمين أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن لعظيم ، فاختاروا من كل مصر وجّه اليه

---

(١) الابانة ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) مجمع البيان ١/ ٢٥

مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدراية وكمال العلم ، أفنوا عمرهم في القراءة والاقراء ، واشتهر أمرهم ، وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم ، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم[1] » .

وقال محمد الجواد العاملي (ـ ١٢٢٦ هـ) في مفتاح الكرامة : « وحيث تقاصرت الهمم عن ضبط الرواة لكثرتهم غاية الكثرة اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه ، وتنضبط القراءة به ، فعمدوا الى من اشتهر بالضبط والامانة وطول العمر في الملازمة للقراءة ، والاتفاق على الأخذ عنه ، فأفردوا إماماً من هؤلاء في كل مصر من الامصار الخمسة المذكورة ، وهم : نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي[2] » .

واذا عدنا نلتمس ذلك من ابن مجاهد نفسه وجدناه يقول في مقدمته لكتاب السبعة ما يشير الى ذلك ، قال في ص ٤٥ : « فمن حملة القرآن : المعرب العالم بوجوه الاعراب والقراءات العارف باللغات ومعاني الكلام البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار فذلك الامام الذي يفزع اليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين .

ومنهم : من يعرب ولا يلحن ولا علم له بغير ذلك ، فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه فهو مطبوع على كلامه .

ومنهم : من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده الا الأداء لما تعلم لا يعرف الاعراب ولا غيره ، فذلك الحافظ فلا يلبث مثله أن ينسى اذا طال عهده فيضيع الاعراب لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة لأنه لا يعتمد على علم العربية ولا به بصر بالمعاني يرجع اليه ، وانما اعتماده على حفظه وسماعه وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع وتشتبه عليه الحروف فيقرأ بلحن لا يعرفه وتدعوه الشبهة الى أن يرويه عن غيره ويبرىء نفسه ، وعسى أن يكون عند الناس مصدقا فيحمل ذلك عنه وقد نسيه ووهم فيه ، وجسر على لزومه والاصرار عليه ، أو يكون قد قرأ

---

(١) ٥ ، ٦ .

(٢) ٢/٣٩١ .

على من نسي وضيع الاعراب ودخلته الشبهة فيتوهم ، فذلك لا يقلد القراءة ولا يحتج بنقله .

ومنهم : من يعرب قراءته ويبصر المعاني ويعرف اللغات ، ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار ، فربما دعاه بصره بالاعراب الى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون ذلك مبتدعاً » .

وفي التعليلات المذكورة ، ومن تقسيم ابن مجاهد الرباعي لمن يقرؤون القرآن ندرك أن هناك أمرا مهماً دعا الى ما قام به ابن مجاهد من تسبيغة السبعة ، وهو : الحفاظ على منهج القراءات القرآنية ، لئلا تخرج عن طريق النقل الموثوق به الى النقل المشكوك فيه ، أو عن طريق الرواية والنقل عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم الى طريق الاجتهادات الشخصية .

ويؤ يده هذه الشهرة العلمية التي يتمتع بها السبعة والاتفاق على الاعتماد على قراءاتهم . يضاف اليه : وثاقة ابن مجاهد وعلو كعبه في العلم أصالة وعمقاً ، يقول الذهبي : « وكان (يعني ابن مجاهد) ثقة حجة ، قال أبو عمرو الداني : فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظرائه من أهل صناعته ، مع اتساع علمه ، وبراعة فهمه ، وصدق لهجته ، وظهور نسكه[1] » .

ويقول ابن الجزري عنه : وبَعُدَ صيته ، واشتهر أمره ، وفاق نظراءه ، مع الدين والحفظ والخير ، ولا أعلم أحدا من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه ، ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه[2] .

وقال فيه ابن النديم : « وكان واحد عصره غير مدافع ، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن ، حسن الأدب ، رقيق الخلق ، كثير المداعبة ، ثاقب الفطنة[3] » .

---

(١) الفهرست ٣١ خياط .

(٢) معفية القراء ٢١٧/١ .

(٣) غاية النهاية ١٤٢/١ .

فاننا ندرك أيضا مما يتمتع به ابن مجاهد من شخصية دينية وعلمية الدافع الـذي حفزه الى القيام بعمله هذا .

وأخال أننا نفهم هذا أيضا مما روي عنه في أنه سأله رجل : « لمَ لا يختار الشيخ لنفسه حرفا يحمل عليه ؟! .

فقال : نحن أحوج الى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا ، أحوج منا الى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا[1] .

ويؤ يد ما ذكرت ما يقوله أبو الفتح ابن جني في شواذ القراءات : « وأرد القراءات في متوجهاتها ، فأتى ذلك على طهارة جميعه ، وغزارة ينبوعه ، ضربين :

ضرباً اجتمع عليه أكثر قرّاء الأمصار وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد ـ رحمه الله ـ كتابه الموسوم بـ (قراءات السبعة) ، وهو بشهرته غانٍ عن تحديده .

وضرباً تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً ، أي خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها[2] .

ثم يقول : « ولم نقرأ بالشاذ في التلاوة لئلا ينتشر[3] » .

وهناك عامل آخر ـ فيما يبدو لي ـ كان ذا أثر بعيد في شهرة القراءات السبع هذه الشهرة العلمية ، ـ مضافاً الى ما تقدم ـ هو افراد ابن مجاهد شواذ القراءات بمؤلف خاص .

وأحسب أن دوافع قيامه باختيار القراءات السبع وافرادها بمؤلف هي التي دفعته الى أن يعتبر ما سواها شواذ .

---

(١) غاية النهاية ١/ ١٤٢ .

(٢) المحتسب ١/ ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) م . ن . بتصرف .

وهكذا كانت هذه المرحلة المنطلق في وضع نظام القراءات السبع ، وفي تشذيذ القراءات الشاذة .

والى هذا يشير المستشرق نولدكه بقوله : « وتبدأ مراجع القراءات الشاذة حقيقية بالرجل الذي أسس نظام القراءات السبع المشهورة (ابن مجاهد) وقد ألّف الى جانب (كتاب السبعة) كتاباً آخر اسمه (كتاب الشواذ) وقد ضاع »[1] .

أما المقياس الذي اتبعه ابن مجاهد في اختياره قراءات السبعة فهو :

١ ـ أن يكون القارىء مجمعاً على قراءته من قبل أهل مصره .

قال في كتاب السبعة[2] : « فهؤلاء سبعة نفر (يعني القراء السبعة) من أهل الحجاز والعراق والشام خلفوا في القراءة التابعين وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سمّيتُ وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار ، الا أن يستحسن رجل لنفسه حرفا شاذا فيقرأ به من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة فذلك غير داخل في قراءة العوام » .

٢ ـ وأن يكون اجماع أهل مصره على قراءته قائما على أساس من توفره على العلم بالقراءة واللغة توفرا يدل على أصالة وعمق .

قال : « فمن حملة القرآن : المعرب العالم بوجوه الاعراب والقراءات العارف باللغات ومعاني الكلام ، البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار ، فذلك الامام الذي يفزع اليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين[3] » .

والملاحظ في مقياس ابن مجاهد هذا أنه منصب على تقويم شخصية القارىء بينما نجد تلميذه ابن خالويه يعطينا مقياسا يقوّم فيه القراءة وهو :

---

(١) الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ٢٢٠ نقلا عن : نولدكه . تاريخ القرآن ـ طبعة عام ١٩٦١ . حـ ٢/٢٢٨ من تكملة برتسل وبراجشترسر .

(٢) ص ٨٧ :

(٣) السبعة ص ٤٥ .

١ ـ أن يكون الاختلاف في اللفظ القرآني غير مخالف للمصحف .

٢ ـ أن يكون الاختلاف في اللفظ القرآني غير مخالف للاعراب .

٣ ـ أن يكون الاختلاف في اللفظ القرآني مما توارثته الأئمة[١] .

وفي عهد ابن مجاهد ولد مقياسان آخران وماتا في مهدهما لعدم تلقي المسلمين لهما بالقبول ، ولرفضهما لها ، وهما : مقياس ابن شنبوذ (ت ٣٢٧ هـ) الذي اكتفى فيه بصحة السند وموافقة العربية ، ومقياس ابن مقسم (ت ٣٥٤ هـ) الذي اكتفى فيه بمطابقة المصحف وموافقة العربية[٢] .

المرحلة الثالثة عشرة :

وبعد تسبيع ابن مجاهد القراءات السبع ، وتشذيذه القراءات الشواذ ، كانت مرحلة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية وما اليها .

وكان كتابا ابن مجاهد مثار الدراسات ومدارها .

١ ـ وكان أول من ألف في الاحتجاج للقراءات السبع : أبو بكر محمد بن السري المتوفى سنة ٣١٦ هـ والمعاصر لابن مجاهد ، الا أنه لم يتم كتابه ، فقد صدر منه سورة الفاتحة وجزء من سورة البقرة[٣] .

ثم كان من بعده كل من :

٢ ـ محمد بن الحسن الانصاري (ت ٣٥١ هـ) ، الف (كتاب السبعة بعللها الكبير) .[٤]

---

(١) القراءات لابن خالويه . مصورة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ـ ورقة ١٨ .

(٢) انظر : غاية النهاية ٢/ ١٢٤ .

(٣) راجع : مفتاح السعادة ١/ ١٦٥ ط دار الكتب الحديثة وتقديم كتاب حجة الفارسي .

(٤) الفهرست ٣٣ خياط .

٣ ـ أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم العطار (ت ٣٦٢ هـ) ذكر له ابن النديم في الفهرست[١] :

كتاب احتجاج القراءات .

كتاب السبعة بعللها الكبير .

كتاب السبعة الاوسط .

كتاب الاوسط (آخر) .

كتاب الأصغر ، ويعرف بـ (شفاء الصدور) .

٤ ـ الحسين بن أحمد بن خالـويه (ت ٢٧٠ هـ) ألف كتابـه (الحجـة في علل القراءات السبع) .

٥ـ أبـي علي الفـارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، ألف كتابـه (الحجـة) في الاحتجـاج للقراءات السبع .

وقد اختصره مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) . واسماعيل بن خلف الأنصاري (ت ٤٥٥ هـ) ، ومحمد بن شريح الاشبيلي (ت ٤٧٦ هـ) وكان الفارسي قد نوى أن يؤ لف في الاحتجاج للقراءات الشاذة ، « فاعترضت خوالج هذا الدهر دونه ، وحالت كبواته بينه وبينه » كما يقول تلميذه أبو الفتح ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في مقدمة كتابه (المحتسب) الذي ذكر فيه « أحوال ما شذ عن السبعـة ـ كما قال في مقدمته أيضا ـ ، والذي حقق فيه ما نوى أن يقوم به أستاذه أبو علي الفارسي .

وليس يعني هذا أن الاحتجاج بدأ في هذه المرحلة ، فقد ذكر ابن النديم أن محمد ابن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، كان قد ألف (كتاب احتجاج القراءة)[٢] .

---

(١) ص ٥٩ خياط .

(٢) ص ٥٩ خياط .

وكذلك تلميذه ابن السراج (ت ٣١٣ هـ) الذي ألف ـ هو الآخر ـ كتابا في احتجاج القراءة ـ كما ذكر ابن النديم [١]

وتلميذه الآخر ابن درستويه (ت نيف و ٣٣٠ هـ) الذي ألف أيضا في (الاحتجاج للقراء) كما ذكر ابن النديم أيضا [٢] .

وانما يعني أن الاحتجاج في هذه المرحلة صار ظاهرة من ظواهر التأليف في القراءات .

المرحلة الرابعة عشرة :

وبعد تسبيع ابن مجاهد القراءات السبع توالت التواليف في القراءات السبع ، وكان من أهمها وأشهرها :

١ ـ مؤلفات أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، أمثال : (التيسير في القراءات السبع) ، الذي يعده ابن الجزري : « من أصح كتب القراءات ، وأوضح ما ألف عن السبعة من الروايات [٣] » .

والذي يقول فيه الزركشي : « وأحسن الموضوع للقراءات السبع : كتاب التيسير لأبي عمرو الداني [٤] » .

وكتاب (جامع البيان في القراءات السبع) ، الذي اشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريق عن الأئمة السبعة .

قال فيه ابن الجزري : « كتاب جليل في هذا العلم لم يؤلف مثله » [٥] .

---

(١) ص ٦٣ خياط .

(٢) ص ٣٥ خياط .

(٣) تحبير التيسير ، مخطوطة المكتبة المحمدية بالمدينة المنورة ورقة ١ .

(٤) البرهان ١/٣١٨ .

(٥) النشر ١/٦١ .

وكتاب المفردات السبع الذي أفرد فيه قراءة كل واحد من القراء السبعة على حدة .

وكتاب التهذيب لما تفرد به كل واحد من القراء السبعة .

٢ ـ منظومة أبي القاسم بن فيرة الأندلسي الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) المسماة بـ (حرز الأماني ووجه التهاني) والمعروفة بـ (الشاطبية) ، وهي نظم لكتاب التيسير للداني ، وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً[١] .

وقد كانت ـ كما يقول ابن الجزري ـ من أعظم أسباب شهرة كتاب التيسير[٢] .

ولأن التيسير والشاطبية سيطرا سيطرة كبيرة على الجو الدراسي للقراءة القرآنية ، ولأن الشاطبية حظيت بشروح عدة كانت القراءات السبع ـ ولا تزال ـ مثار الدراسة والبحث ومدارهما ، والمسيطرة على الدرس القرائي ، مضافا هذا الى العوامل الأخرى المتقدمة .

ومن أشهر شروح الشاطبية :

١ ـ فتح الوصيد . لعلي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) تلميذ الناظم وصاحبه « وهو أول من شرحها واشتهرت بسببه[٣] » .

٢ ـ شرح أحمد بن شكر الأندلسي (ت ٦٤٠ هـ) .

٣ ـ المهند القاضبي لأحمد بن علي الأندلسي (ت ـ تقريبا ـ ٦٤٠ هـ) .

٤ ـ الدرة الفريدة لابن أبي العز الهمداني (ت ٦٤٣ هـ) .

٥ ـ كنز المعاني لمحمد بن أحمد الموصلي المعروف بـ (شعلة) (ت ٦٥٦ هـ) .

٦ ـ الفريدة البارزية لمحمد بن الحسن الفاسي النحوي (ت ٦٥٦ هـ) .

---

(١) أحمد بدوي ـ الرسالة ، العدد ٩٦٦ ص ٣٣ .

(٢) تحبير التيسير . ورقة ١ .

(٣) لطائف الاشارات ١/ ٨٩ .

٧ - المفيد لقاسم بن أحمد اللورقي (ت ٦٦١ هـ) .

٨ - ابراز المعاني لأبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ) .

٩ - اللآلي الفريدة لمحمد بن الحسن الفاسي (ت ٦٧٢ هـ) .

١٠ - كشف الرموز ليعقوب بن بدران الجرايدي (ت ٦٨٨ هـ) .

١١ - شرح علي بن أحمد (ت ٧٠٦ هـ) .

١٢ - شرح ابن الخطيب (ت ٧٢٥ هـ) .

١٣ - شرح أحمد بن محمد المقدسي (ت ٧٢٨ هـ) .

١٤ - كنز المعاني لابراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) ، وضعه القسطلاني بأنه « شرح عظيم لم يصنف مثله »[١] .

١٥ - شرح هبة الله بن عبد الرحيم البارزي (ت ٧٣٤ هـ) .

١٦ - الحواشي المفيدة في شرح القصيدة لعبد الرحمن بن أحمد الدقوقي (ت ٧٣٥ هـ) .

١٧ - شرح ابن أم قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ) .

١٨ - العقد النضيد لأحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) .

١٩ - الجوهر النضيد لابن الجندي (ت ٧٦٩ هـ) .

٢٠ - شرح عبد الله بن محمد الحسني (ت ٧٧٦ هـ) .

٢١ - شرح عبد الرحمن بن أحمد الواسطي (ت ٧٨١ هـ) .

٢٢ - سراج القارىء لابن القاصح : علي بن عثمان البغدادي (ت ٨٠١ هـ) .

٢٣ - شرح محمد بن محمود بن النجار (ت ٨٤٣ هـ) .

٢٤ - شرح أحمد الحصكفي (ت ٨٩٥ هـ) .

---

(١) لطائف الاشارات ١/ ٨٩ .

٢٥ ـ شرح جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) .

٢٦ ـ فتح الداني لأحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) .

٢٧ ـ الغاية لحسين بن علي الحصني ، ألفه عام ٩٦٠ هـ .

٢٨ ـ شرح محمد بن الأندلسي (ت ـ بدون) .

٢٩ ـ اظهار المعاني لأحمد المغنيساوي (ت حدود ١٠٩٠ هـ) .

ومن أشهر مختصراتها :

١ ـ حوز المعاني لابن مالك النحوي (ت ٦٧٢ هـ) .

٢ ـ مختصر ابن التبريزي (ت ٧٦٥ هـ) .

٣ ـ نظم درر الجلا لعبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي (ت ٧٦٨ هـ) .

٤ ـ مختصر بلال الرومي (ت ـ بدون) .

ومن اشهر تكملاتها :

١ ـ نظيرة ابن الفصيح الهمداني (ت ٧٥٥ هـ) .

٢ ـ تكملة في القراءات الثلاث لأحمد بن محمد بن سعيد الشرعي اليمني (ت ٨٣٩ هـ) .

٣ ـ الدر النضيد لمحمد بن يعقوب الأسدي (ت ـ بدون)[١] .

ويبدو لي : أن مؤلفات الداني ومعاصريه من علماء القراءات في القرن الخامس الهجري أمثال : البغدادي صاحب الروضة ، والرعيني صاحب الكافي ، ومكي صاحب التبصرة والطبري صاحب التلخيص ، والأهوازي صاحب الموجز وغيرهم ، كانت الحد الفاصل في التفرقة بين القراءات الصحاح والقراءات

---

(١) راجع : كشف الظنون في فصل القراءات . وغاية النهاية . والاعلام . ومعجم المؤلفين ، في تراجم المذكورين .

الشواذ ، وبخاصة مؤلفات الداني بما لقيته من شهرة واقبال دراسي عليها وبما حظيت به الشاطبية (نظم التيسير) من شرح ودرس .

ذلك لأننا نرى في مؤلفات القرن الرابع أمثال (السبعة) لابن مجاهد قراءات متواترة عند ابن مجاهد وتلميذه ابن خالويه[1] شذذها رجال القرن الخامس ومن بعدهم ، كقراءة ابن كثير (غير المغضوب) - في الفاتحة - بنصب (غير) وقراءته (لاحدى الكبر) - في المدثر - بغير همز (لحدى) . وقراءات شواذ وردت في مختصر البديع لابن خالويه ، مثل قراءة ابن كثير - برواية البزي - (سحابُ ظلماتٍ) - في النور - بالاضافة - اعندها متواترة مقرئو القرن الخامس ومن بعدهم[2] . وفي ضوئه ، قد نستطيع أن نعتبر عصر الداني العصر الذي استقرت فيه الحدود ، بين القراءات الصحاح والقراءات الشواذ .

المرحلة الخامسة عشرة :

وهي مرحلة تفريد القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها ، دفعاً لما علق في كثير من الأذهان من أن الأحرف السبعة الوارد ذكرها في الحديث الشريف (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[3] هي القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد واعتبرها الصحاح وما عداها شواذ .

قال في النشر[4] : « قال الامام شيخ الاسلام أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي (ت ٤٥٤ هـ) - بعد أن ذكر الشبهة التي من أجلها وقع العوام الأغبياء في أن أحرف هؤلاء الأئمة السبعة هي المشار اليها بقوله - صلى الله عليه وسلم - : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، « ان الناس انما ثمنوا القراءات وعشروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة » .

---

(١) راجع كتاب القراءات .

(٢) عرفت بهذه القراءات في رسالتي (قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية) فراجع .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ٢٠٧ .

(٤) ١/٤٣ .

ثم قال : « واني لم أقتف أثرهم تثمينا في التصنيف أو تعشيراً أو تفريداً إلا لازالة ما ذكرته من الشبهة » .

ويقصد بالتفريد ـ هنا ـ افراد قراءة واحدة بالتأليف ، والتسديس ذكر ست قراءات فقط ، وهكذا . . ليعلم من هذا أن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة كما توهم . وليعلم ـ في رأي آخرين ـ أن القراءات السبع ليست هي وحدها المتواترة أو الصحاح .

وقد ذكر ابن الجزري جملة من هذه الكتب في قائمة مصادر كتابه (النشر في القراءات العشر) ، أمثال : مفردة يعقوب لعبد الباري الصعيدي المتوفى سنة نيف وخمسين وستمائة . والكفاية في القراءات الست لهبة الله بن أحمد الحريري (ت ٥٣١ هـ) ، والتذكرة في القراءات الثماني لابن غلبون الحلبي (ت ٣٩٩ هـ) ، والتلخيص في القراءات الثماني لأبي معشر الطبري (ت ٤٧٨ هـ) والجامع في القراءات العشر لنصر بن عبد العزيز الفارسي (ت ٤٦١ هـ) والروضة في القراءات الاحدى عشرة للحسن بن محمد البغدادي (ت ٤٣٨ هـ) والبستان في القراءات الثلاث عشرة لابن الجندي (ت ٧٦٩ هـ) والكامل ليوسف بن علي الهذلي (ت ٤٦٥ هـ) الذي « جمع فيه خمسين قراءة من الأئمة في ألف وأربعمائة وتسعة وخمسين طريقا » .

ومتأخرا نقرأ (اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر) للدمياطي البنا المتوفى سنة ١١١٧ هـ .

وامتدت هذه الفترة من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثاني عشر .

والملاحظ ـ هنا ـ أن هذه المؤلفات لم تؤثر على القراءات السبع ، وبقيت السبع هي المشهورة ، والمعروفة ، وعليها مدار البحث والدراسة .

وقد اعتمد هؤلاء المؤلفون وأمثالهم في اختياراتهم القراءات التي اختاروها أن تتوافر فيها الأركان التالية :

١ ـ قوة وجهها في العربية .

٢ ـ موافقتها لرسم المصحف العثماني .

٣ ـ اجتماع العامة عليها .

ويلخص ذلك مكي بن أبي طالب فيقول : « ولم تترك القراءة بقراءة غيرهم (يعني السبعة) ، واختيار من أتى بعدهم الى الآن ، فهذه قراءة يعقوب الحضرمي غير متروكة ، وكذلك قراءة عاصم الجحدري ، وقراءة أبي جعفر وشيبة إمامي نافع ، وكذلك اختيار أبي حاتم وأبي عبيد ، واختيار المفضّل ، واختيارات لغير هؤلاء والناس على القراءة بذلك في كل الأمصار من المشرق . وهؤلاء الذين اختاروا انما قرأوا لجماعة ، وبروايات ، فاختار كل واحد مما قرأ وروى ، قراءة تنسب اليه بلفظ الاختيار ، وقد اختار الطبري وغيره .

وأكثر اختياراتهم انما هو في الحرف اذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء :

قوة وجهه في العربية .

وموافقته للمصحف .

واجتماع العامة عليه .

والعامة ـ عندهم ـ ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة ، فذلك عندهم حجة قوية ، فوجب الاختيار .

وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين .

وربما جعلوا الاختيار على ما اتفق عليه نافع وعاصم ، فقراءة هذين الامامين أوثق القراءات وأصحها سندا وأفصحها في العربية ، ويتلوهما في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي ـ رحمهم الله[1] » .

---

(١) الابانة ٤٨ ـ ٥٠ .

واذا أردنا معرفة التطور الذي حدث لمقياس القراءة المتواترة منذ القرن الرابع والذي ذكره ابن خالويه في كتابه (القراءات) فانا نجده في الوصف الثالث فبدل أن يشترط في القراءة المتواترة أن تكون مما توارثته الأئمة ، اشترط فيها أن تكون مما اجتمع عليه العامة . وربما عاد هذا التطور الى وضع القيود الضابطة والواقية أكثر ، من أن تصاب القراءة بما يخرجها عن أداء مهمتها في حفظ لفظ القرآن ونصه .

المرحلة السادسة عشرة :

وفيها تطور المقياس الضابط للتفرقة بين القراءة الصحيحة وغيرها مما ذكره ابن أبي طالب ، الى آخر ، أريد به الوقاية من أن يدخل القراءة القرآنية ما ليس منها مما هو غير مسند ، أو ضعيف الرواية ، أو مما هو ليس بمتواتر أو مستفيض ، أو مما تفرد به راوٍ واحد عن السبعة ، فلا يستطاع اعتباره قرآناً لأنه ليس بقطعي السند .

وكل هذا لأن الوصف الثالث ـ الذي مر الحديث عنه قريبا ـ ربما أمسى غير قادر على القيام بوظيفته من الضبط والوقاية ، فطوروه الى وصف أكثر دقة وأقدر على أداء المهمة .

والمقياس هو أن تشتمل القراءة على الشروط والأركان التالية :

١ ـ صحة السند .

٢ ـ موافقة العربية .

٣ ـ موافقة رسم المصحف العثماني .

يقول الكواشي الموصلي ـ المتوفى سنة ٦٨٠ هـ ـ : « وكل ما صح سنده ، واستقام وجهه في العربية ، ووافق لفظه خط المصحف الامام ، فهو من السبعة المنصوص عليها ، ولو رواه سبعون ألفا مجتمعين أو متفرقين .

فعلى هذا الأصل بنى قبول القراءات عن سبعة كانوا أو عن سبعة آلاف .

ومتى فُقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة[1]

وفي ضوء هذا المقياس قسموا القراءة الى :

١ ـ صحيحة : وهي ما توافرت فيها الشروط المذكورة .

٢ ـ وغير صحيحة : وهي ما تخلف فيها ركن من الأركان الثلاثة المذكورة .

ويوقفنا ابن الجزري على عوامل وضع هذا المقياس بقوله :

« ثم ان القراء بعد هؤلاء المذكورين (يعني أولئك الذين تجردوا للقراءة في الأمصار الخمسة الذين تقدم ذكرهم) ، كثروا وتفرقوا في البلاد ، وانتشروا ، وخلفهم أمم بعد أمم ، عرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم ، فكان منهم المتقن للتلاوة ، المشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المقتصر على وصف من الأوصاف ، وكثر بينهم لذلك الاختلاف ، وقل الضبط واتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق ، فقام جهابذة علماء الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الاجتهاد ، وبينوا الحق المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات ، وميّزوا بين المشهور والشاذ ، والصحيح والفاذ ، بأصول أصلوها وأركان فصلوها »[2] .

ثم يتطور هذا المقياس الى شيء من التوسع في الشرطين الثاني والثالث ، فتأتي الأركان ـ كما يذكر ابن الجزري[3] ـ هكذا :

١ ـ صحة المسند .

٢ ـ موافقة العربية ولو بوجه .

٣ ـ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

---

(١) النشر ١/ ٤٤ .
(٢) النشر ١/ ٩ .
(٣) م . ن .

واختلفوا في مستوى صحة السند ، فذهب بعضهم الى اشتراط التواتر فيه ، معللا ذلك بأنها قرآن ، والقرآن لا يثبت الا بالتواتر .

واكتفى آخرون باستفاضته ، لأن الاستفاضة تفيد القطع المطلوب في اثبات قرآنية القراءة ، ومن هؤلاء أبو شامة ـ المتوفى سنة ٦٦٥ هـ[١] ، وابن الجزري ـ المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، معللاً بأن التواتر اذا حصل لا تكون بحاجة الى الركنين الآخرين[٢] .

ويبدو لي : أن ابن الجزري فاته أن اشتراط الركنين الآخرين للوقاية ـ كما تقدم وكما ذكره هو أيضا ـ ولاستبعاد ما من شأنه قد يؤدي الى الفوضى والضعف في القراءات .

وذهب مكي بن أبي طالب الى الاكتفاء بالاستفاضة ، غير أنه يفرق بين ما صح وجهه في العربية ووافق لفظه رسم المصحف فيعتبره قرآنا وقراءة ، وبين ما صح وجهه في العربية الا أنه خالف لفظه رسم المصحف فيعتبره قراءة فقط . ومثله ما وافق لفظ رسم المصحف الا أنه لا وجه له في العربية فهو قراءة لا قرآن أيضا[٣] .

وذهب بعضهم الى عدم اشتراط السند ، والاكتفاء بموافقة رسم المصحف في ثبوت القراءة كابن مقسم المتوفى سنة ٣٥٤ هـ .

قال في غاية النهاية[٤] « ويذكر عنه (ابن مقسم) أنه كان يقول : ان كل قراءة وافقت المصحف ووجهاً في العربية فالقراءة بها جائزة وان لم يكن لها سند » .

وستأتي مناقشة أمثال هذا الرأي في موضوع (مصادر القراءات) . وقد بقي هذا الخلاف في الوصف الذي ينبغي أن يتوفر لصحة السند من شهرة أو استفاضة أو تواتر قائماً حتى العهود المتأخرة .

---

(١) النشر ١/١٣ .
(٢) م . ن .
(٣) الابانة ٤٨ ـ ٥٠ .
(٤) ١/١٢٤ .

وخالف في اشتراط الركن الثالث (موافقة رسم المصحف) ابن شنبوذ المتوفى سنة ٣٢٨ هـ والمعاصر لابن مجاهد مسبع السبعة ومشذذ ما سواها « فكان يرى جواز القراءة بما خالف الرسم ما دامت الرواية صحيحة النقل[١] » .

ويرجع هذا ـ فيما يخال ـ الى شيء من المنافسة لابن مجاهد[٢] ، وعدم التفات ابن شنبوذ الى أن اشتراط موافقة الرسم انما كانت لأن المصاحف العثمانية قد كتبت على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة ، كما ذكر ذلك جملة من المفسرين والمؤ رخين ، يقول ابن كثير : « كان جبريل يعارض به (أي القرآن) رسول الله في كل سنة في شهر رمضان ، فلما كانت السنة التي توفى فيها عارضه مرتين تأكيدا وتثبيتاً[٣] » ، ويقول ابن الجزري : « فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما صرح به غير واحد من أئمة السلف[٤] » أو لعدم اقتناعه بخطة التشذيذ التي سار عليها ابن مجاهد ، لأنه لاحظ أن في القراءات المتواترة ما يخالف الرسم اتباعاً للرواية والنقل ، كما في قراءة (جيء) وكتابتها بالألف (جائى) ، وقراءة (لاذبحنه) وكتابتها بالألف (لا أذبحنه)[٥] ، وكقراءة أبي عمرو (ان هذين) بالياء وكتابتها بالألف (هـذان) ، وقراءته (فاصدق واكون) بالواو وكتابتها بدونه (واكن)[٦] .

والملاحظ ـ هنا ـ أن ابن شنبوذ مع معارضته لابن مجاهد لم يجرحه ، يقول ابن النديم : « وكان (يعني ابن شنبوذ) يناوىء أبا بكر (يعني ابن مجاهد) ولا يفسده[٧] » .

ومن هنا ـ فيما يبدو ـ لا بد من اعادة النظر في المسألة لأن الرسم هو الآخر سنة متبعة

---

(١) تاريخ القرآن لشاهين ٢٠٧ .
(٢) راجع : طبقات الذهبي وطبقات ابن الجزري في ترجمة ابن شنبوذ وتاريخ القرآن لشاهين ٢٠٧
(٣) فضائل القرآن ٦ .
(٤) النشر ١/٨ .
(٥) راجع : غيث النفع ٢١٨ .
(٦) راجع : الصاحبي ١١ .
(٧) الفهرست ٣١ خياط .

كالقراءة ، كما نص على ذلك في (غيث النفع)[1] فنقول : متى تعارض الرسم والقراءة المتواترة أو المشهورة - كما في الأمثلة المتقدمة - يؤخذ بالقراءة .

ونفيد هذا من طريقة القرائيين التي ذكرها ابن الحاج في (المدخل) قال الصفاقسي : « قال الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن الحاج في (المدخل) : لا يجوز لأحد أن يقرأ بما في المصحف الا بعد أن يتعلم القراءة على وجهها أو يتعلم مرسوم المصحف وما يخالف منه القراءة ، فان فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة »[2] .

أو نقول : ان هناك مستثنيات لهذا الشرط نص عليها ، فلا تجوز المخالفة فيما سواها .

---

(١) ص ٢١٨ .
(٢) غيث النفع ٢١٨ .

الفصل الثاني

التعريف بالقراءات



التعريف بالقراءات

تعريف القراءات :

عرّف الزركشي القراءات بقوله : « القراءات : اختلاف ألفاظ الوحي - المذكور - في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها[1] » .

ويستخلص من تعريفه هذا : أن القراءات تختص بالمختلف فيه من ألفاظ القرآن الكريم ، بينما نجد علماء القراءات يوسعون في دائرة شمول القراءات الى المتفق عليه أيضا ، وذلك في تعريفهم لعلم القراءات .

يقول ابن الجزري : « القراءات : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله[2] » .

ويعرّفه الدمياطي البنا بقوله : « علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والاثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والابدال وغيره ، من حيث السماع[3] » .

---

(١) البرهان ١/٣١٨ .

(٢) منجد المقرئين ٣ . وفي النسخة المطبوعة (بعز والنافلة) وهو تصحيف ، وصوابه ما ذكرناه .

(٣) اتحاف فضلاء البشر ص ٥ .

يضاف اليه : أن ابن الجزري والدمياطي اشترطا في القراءة النقل والسماع ، ولعل ذلك لأن (القراءة سنة متبعة) كما يقول زيد بن ثابت الأنصاري الصحابي[1] ، ولأجله أيضا يقول ابن الجزري : « وليحذر القارىء الاقراء بما يحسن في رأيه دون النقل ، أو وجه اعراب أو لغة ، دون رواية »[2] .

وفي تعريف زكريا الأنصاري ـ المتوفى ٩٢٥ هـ ـ نقف على شرط آخر هو تطبيق المنقول أو المسموع على القرآن الكريم تلاوة أو أداء ، يقول : « القراءة ـ بالكسر وتخفيف الراء المهملة ـ هي عند القراء : ان يقرأ القرآن سواء كانت القراءة تلاوة بأن يقرأ متتابعا ، أو أداء بأن يأخذ من المشايخ ويقرأ[3] » .

وفي ضوء هذه التعريفات نخلص الى أن القراءة : هي النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي « صلى الله عليه وسلم » ، أو كما نطقت أمامه صلى الله عليه وسلم فأقرها ، سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلا أو تقريرا ، واحدا أم متعددا .

ويعني التعريف ـ هنا ـ أن القراءة قد تأتي سماعا لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم بفعله ، أو نقلا لقراءة قرئت أمامه صلى الله عليه وسلم فأقرها .

وان القراءة قد تروى لفظا واحدا ، وهو ما يعبر عنه بالمتفق عليه بين القراء ، وقد تروى أكثر من لفظ واحد ، وهو ما يعبر عنه بالمختلف فيه بين القراء .

أقسام القراءات :

تقسم القراءات في ضوء توفرها على الأوصاف التي مر ذكرها في التعريف بمقاييس القراءات وهي : (صحة السند ، وموافقة العربية ، ومطابقة الرسم) .

---

(١) الاتقان ١/ ٧٥ .
(٢) منجد المقرئين ٣ .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ٥/ ١١٥٨ .

تقسم الى قسمين : المتواترة والصحيحة .

١ ـ المتواترة :

ويعرّفها ابن الجزري بقوله : « كل قراءة وافقت العربية مطلقا ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا ، وتواتر نقلها ، هذه القراءة المواترة ، المقطوع بها[١] » .

٢ ـ الصحيحة :

وتقسم الى قسمين : الجامعة للاركان الثلاثة ، والشاذة :

أ ـ الجامعة للاركان الثلاثة :

ويعرفها ابن الجزري بـ « ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط ، كذا ، الى منتهاه ، ووافق العربية والرسم[٢] » .

وتقسم الى قسمين أيضا هما : المستفيضة وغير المستفيضة :

١ ـ المستفيضة :

وهي التي استفاض نقلها وتلقتها الأمة[٣] بالقبول .

ويمثل لها ابن الجزري بما انفرد به بعض الرواة أو بعض الكتب المعتبرة ، وبمراتب القراءة في المد .

ويلحق هذا القسم ـ في رأيهم ـ بالقراءة المتواترة ، وان لم يبلغ مبلغها ،

---

(١) منجد المقرئين ١٥ .

(٢) منجد المقرئين ١٦ .

(٣) في النسخة المطبوعة من منجد المقرئين (تلقاه الأئمة) وصوابه (الأمة) بقرينة ما جاء في تعريف قسيمه ، وتكرار استعماله في أكثر من موضع بلفظ (الأمة) .

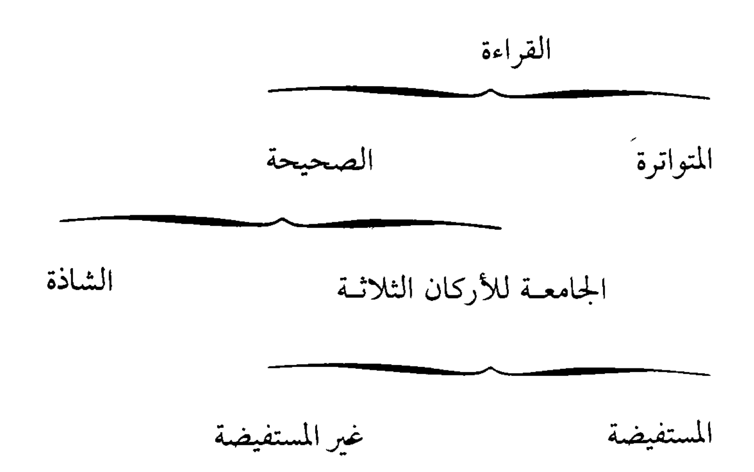
وذلك لاستفاضته ، واقترانه بما يفيد العلم باتصاله برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو الاساس في اعتبار القراءة قرآنا .

٢ ـ غير المستفيضة :

وهي التي لم تستفض في نقلها ، ولم تتلقها الأمة بالقبول .

وهذا القسم موضع خلاف في قبوله عند المقرئين والأكثر على قبوله . ويعرّفها ابن الجزري بـ « ما وافق العربية ، وصح سنده ، وخالف الرسم[١] ، ويمثل له ابن الجزري بما ورد باسناد صحيح من زيادة أو نقص أو ابدال كلمة بأخرى ونحو ذلك[٢] » .

الخلاصة :



ونستطيع أن نلخصها في ثلاثة أقسام هي :

---

(١) منجد المقرئين ١٦ .
(٢) م . ن .

١٠ ـ المتواترة :

ونعني بها : القراءة المقطوع باتصالها بالنبي صلى الله عليه وسلم سواء تواتر نقلها أم استفاض .

فتنتظم في هذا القسم : المتواترة والمستفيضة من الأقسام المذكورة . وسميتها (المتواترة) ولم أسمها (المقطوع بها) لاحتفظ بالمصطلح القرائي الموروث .

٢ ـ الآحادية :

ونريد بها القراءة الجامعة للأركان الثلاثة ، ولم يبلغ نقلها مستوى تفيد معه القطع باتصالها بالنبي صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ الشاذة :

وهي المخالفة للرسم .

التفرقة بين المتواتر والشاذ :

للتفرقة بين المتواتر والشاذ من القراءات ـ كما يذكر ابن الجزري في منجد المقرئين[١] ـ لا بد من معرفة مناهج مؤلفي القراءات :

١ ـ فمن أقام تأليفه على أساس من الاختيار الذي يعتمد بدوره على اشتراط وجود أركان القراءاة المتواترة فيما يختاره ، وتلقى الناس كتابه بالقبول يعد نقله متواترا .

وذلك مثل الكتب التالية : غاية ابن مهران ، وغاية أبي العلاء الهمداني ، وسبعة ابن مجاهد ، وارشاد أبي العز القلانسي ، وتيسير أبي عمرو الداني ، وموجز أبي علي الأهوازي ، وتبصرة ابن أبي طالب ، وكافي ابن شريح ، وتلخيص أبي

---

(١) ١٧ .

معشر الطبري ، واعلان الصفراوي ، وتجريد ابن الفحام ، وحرز أبي القاسم الشاطبي ، ونشر ابن الجزري وتقريبه ، وتحبير التيسير له . وغيرها .

٢ ـ ومن أقام تأليفه على أساس من جمع ما يصل اليه دونما اشتراط توافر ما ينقله على الأركان فلا يعد ما ينقله متواترا .

وانما يرجع فيه الى أمثال المؤلفات المذكورة في القسم الأول فيما وافقه منها فهو متواتر ، وما خالفه فهو شاذ .

والمؤلفون الجماعون هم أمثال : سبط الخياط ، وأبي معشر الطبري في جامعه ، وأبي القاسم الهذلي في كامله ، وأبي الكرم الشهرزوري ، وأبي علي المالكي ، وابن فارس ، وأبي علي الأهوازي في غير موجزه ، وغيرهم .

قراءة البدو :

وقبل أن أختم حديثي عن أقسام القراءات ، أرى أن من المناسب الاشارة الى ما عرف بـ (قراءة البدو) ، وهي لا تخرج ـ فيما وقفت عليه منها ـ عن القراءة الشاذة .

ومنها ما ذكره الفراء في (معاني القرآن)[1] ، قال : « قوله تعالى (الحمد لله) : اجتمع القراء على رفع (الحمد) ، وأما أهل البدو فمنهم من يقول (الحمدُ لِله)[2] ، ومنهم من يقول (الحمد لِلِه)[3] ، ومنهم من يقول الحمدُ لُله) فيرفع الدال واللام » .

---

(١) ١/٣ .

(٢) بضم الدال وكسر اللام .

(٣) بكسر الدال واللام .

بين القراءة والقرآن :

من المسائل التي أثيرت هنا مسألة الفرق بين القراءات والقرآن ، وأهم الأقوال فيها هي :

١ ـ اعتبار القرآن والقراءات حقيقتين متغايرتين :

وقد ذهب الى هذا الرأي محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ ، قال في كتابه (البرهان)[1] : « القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان . فالقرآن : هو الوحي المنزل على محمد (ص) للبيان والاعجاز . والقراءات : اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد ، وغيرهما » .

وتبعه فيه القسطلاني ناقلا في كتابه (لطائف الاشارات)[2] نص قوله المذكور .

وذهب اليه أيضا من المعاصرين : الدكتور صبحي الصالح ناقلا نص الزركشي المذكور أيضا . يراجع كتابه (مباحث في علوم القرآن) .

والسيد أبو القاسم الخوئي ، راجع كتابه (البيان في تفسير القرآن) . وابراهيم الأبياري ، راجع (الموسوعة القرآنية ـ المجلد الأول) .

٢ ـ التفرقة بين ما توافرت فيه شروط القراءة الصحيحة :

(صحة السند ، وموافقة العربية ومطابقة الرسم) فيعتبر قرآنا ، وبين ما تخلف فيه ولو شرط منها ، فيعد قراءة فقط .

وهو رأي جمهور العلماء والمقرئين .

---

(١) ٣١٨/١ .
(٢) ١/ ١٧١ .

٣ ـ اعتبار كل قراءة قرآنا حتى القراءات الشاذة :

وهو رأي ابن دقيق العيد

وبغية أن ننتهي الى نتيجة مقبولة في المسألة لا بد من استعراض ما وقفت عليه من أدلة ومناقشتها :

استدل الخوئي لاثبات أن القراءات حقيقة مغايرة لحقيقة القرآن بقوله : « ان كل واحد من هؤلاء القراء (يعني السبعة) يحتمل فيه الغلط والاشتباه ولم يرد دليل من العقل ولا من الشرع على وجوب اتباع قارىء منهم بالخصوص وقد استقل العقل وحكم الشرع بالمنع عن اتباع غير العلم[1] » .

ويلاحظ عليه : أن القراءة السبعية ليست رواية آحاد من القراء السبعة الذين أشار اليهم ، وانما هي متواترة أو مستفيضة ـ كما سيأتي ـ ، والعلم من لوازم التواتر والاستفاضة . ومنشأ قوله هذا ـ فيما يبدو لي ـ هو أسانيد هؤلاء القراء التي ذكرها ابن مجاهد واقتصر فيها على ذكر القليل من الرواة وسيأتي أنه اختيار واجتهاد محض من ابن مجاهد ، ولعله لئلا يثقل السند بكثرة أسماء الرواة .

وعند ثبوت تواتر أو استفاضة القراءة لا مجال لتطرق مثل هذه الاحتمالات التي أشار اليها . نضيف اليه : أننا اذا اعتبرنا القراءة رواية آحاد فاحتمال الغلط والاشتباه في الراوي لا يمنع من الأخذ بروايته اذا كان ثقة ، والا لبطلت كل روايات الآحاد ، وتعطلت السنة الشريفة لأن أكثرها روايات آحاد ، لأنه ما من راوٍ الا يحتمل فيه الغلط والاشتباه لأنه ليس بمعصوم .

وأقصى ما نفيده ـ هنا ـ أن روايته اذا لم تقترن بما يفيد العلم لا نقوى على عدها قرآناً لاشتراط العلم في ثبوت قرآنية القراءة ، وقد ألمحت الى افادة قراءات السبعة العلم الموجب لعدّها قرآناً ، ويأتي تفصيل بيانه .

---

(١) البيان ١٨٠ .

وكذلك احتمال الغلط والاشتباه في الاجتهاد ، اذا اعتبرنا القارىء مجتهدا ـ كما يُقرّبه الخوئي ـ فانه لا يمنع من الأخذ برأي المجتهد ، الا اذا كان الغلط والاشتباه متيقنا ، والا لبطل التقليد اطلاقا ، لأنه ما من مجتهد الا يحتمل فيه الغلط والاشتباه لأنه ليس بمعصوم .

وكل ما يقال فيه : ان الاجتهاد في القراءة اذا لم يفدنا علما بقرآنيتها لا نقوى على اعتدادها قرآنا . على أننا سنثبت فيما يأتي بطلان القول بأن القراءات اجتهاد من القراء .

والرجوع الى القراء رجوع الى ذوي التخصص وأهل الخبرة في حقل تخصصهم ، شأنه شأن الرجوع الى الفقهاء والى رواة الحديث ، فالأدلة التي دلت على لزوم الرجوع الى ذوي التخصصات الأخرى في مختلف حقول الشريعة الاسلامية ، هي نفسها دالة على لزوم الرجوع الى القراء في حقل القراءات .

والى هذا أشار الشيخ ابو شامة في كتابه (المرشد الوجيز ، ص ١٧٣) قال : « واعلم ان القراءات الصحيحة المعتبرة المجمع عليها قد انتهت الى السبعة القراء ـ المقدم ذكرهم ـ ، واشتهر نقلها عنهم لتصديهم لذلك واجماع الناس عليهم ، فاشتهروا بها كما اشتهر في كل علم من الحديث والفقه والعربية أئمة اقتدي بهم وعوّل فيها عليهم » .

ثم يستدل الخوئي على تقريب أن القراءات اجتهاد من القراء بما يأتي :

١ ـ بقول ابن أبي هاشم :

« ان السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها ، أن الجهات التي وجهت اليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة ، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل .

قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا عن الصحابة ، بشرط

موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط ، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار[1] » .

ان النص - كما هو واضح - يثبت أن القراءات رواية لا اجتهاد ، ويدل على هذا عبارة « تلقوه سماعا عن الصحابة » ، فانها تعني الرواية عن الصحابة ، والصحابة - كما مر وكما سيأتي - تلقوا القراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أما اجتهادهم في اشتراط موافقة خط المصاحف العثمانية وترك ما يخالفها ، فلعوامل دعت الى ذلك - كما سلف .

مع العلم بأنه ليس اجتهادا في القراءة . وانما هو اجتهاد في تصنيف القراءات الى ما يدعو الى المحافظة على القرآن الكريم ، والى ما عداه ، فيؤخذ بالأول ويترك الثاني ، ليتحقق الحفاظ على نص القرآن كما تُلقي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العرضة الأخيرة .

ومما يلقي الضوء على المسألة اقتصار قراءة ابن مسعود (عتى حين) على الآية ٣٥ من سورة يوسف ، مع مجيء (حتى) في مواضع عدة ، مما يدل - وبوضوح - على الالتزام بالقراءة المسموعة فحسب[2]

وذلك لأنه لو كانت القراءة اجتهادا لاطردت قراءة حاء (حتى) عينا في جميع مواضعها من القرآن الكريم من قبل ابن مسعود أو غيره من القراء .

ويبدو لنا جليا هنا أن ابن مسعود سمع هذه القراءة من النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية فقط ولذا تقيّد بها في موضعها فحسب .

---

(١) البيان ١٨١ .

(٢) راجع : أثر القراءات في الدراسات النحوية ٣٤ - ٣٥ .

٢ - بقول الزرقاني :

« كان العلماء في الصدر الأول يرون كراهة نقط المصحف وشكله ، مبالغة منهم في المحافظة على أداء القرآن الكريم كما رسمه المصحف وخوفا من أن يؤدي ذلك الى التغيير فيه . . . ولكن الزمان تغير - كما علمت - فاضطر المسلمون الى اعجام المصحف وشكله لنفس ذلك السبب ، أي المحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف وخوفا من أن يؤدي تجرده ، من النقط والشكل الى التغيير فيه[1] » .

والنص - كما ترى - ليس فيه أية دلالة - من قريب أو بعيد - على أن العلماء اعتمدوا على اجتهادهم في النقط والشكل ، كما أنه ليس فيه أية دلالة على أنهم اعتمدوا على ما تلقوه رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وسوف نعلم - فيما يأتي - أن النقط والشكل اعتمد فيهما على القراءة أي على الرواية ، وحينئذ لا مجال للتشبث بأمثال مسألة النقط والشكل لاثبات أن القراءة اجتهاد لا رواية .

٣ - بعدم وثاقة جميع رواة القراءات السبع :

ان عدم التوثيق الذي أشير اليه هنا كان لبعض العلماء وفي بعض الرواة وفي الحديث لا في القراءات ، كالذي جاء في حفص الدوري راوية عاصم[2] ، وفي نافع نفسه حيث لينه[3] الامام أحمد بن حنبل ، وسيأتي هذا وأمثاله في مواضعه مع ملاحظاتها .

---

(١) البيان ١٨١ .

(٢) ففي غاية النهاية لابن الجزري في ترجمة حفص : « قال الذهبي : أما القراءة فثقة ثبت ضابط لها ، بخلاف حاله في الحديث . قلت : يشير الى أنه تكلم فيه من جهة الحديث » .

(٣) أي ضعّفه في رواية الحديث ، جاء في غاية النهاية لابن الجزري في ترجمة نافع : « قال يحيى بن معين : ثقة . وقال النسائي : لا بأس به . وقال أبو حاتم : صدوق . ولينه أحمد . وهو قليل الحديث » .

وربما عاد هذا الى عدم اهتمام القراء المشار اليهم بشأن رواية الحديث ، لانه ليس بمجال تخصص لهم .

مضافا اليه : أن اقتصار رواة القراء السبعة على راويين لكل واحد ، هو من اختيار ابن مجاهد من مجموعة كبيرة لكل قارىء بلغت حد التواتر في كل طبقة - كما ألمحت - وفيهم من لم يمس بأي طعن - كما سيأتي :

وقد أشار الى هذا الزركشي بقوله : « ان في هذه الكتب - مثلا - قراءة نافع من رواية ورش وقالون ، وقد روى الناس عن نافع غيرهما ، منهم اسماعيل بن ابي جعفر المدني وأبو خلف وابن حيان والأصمعي والسبتي وغيرهم . ومن هؤلاء من هو أعلم وأوثق من ورش وقالون . . وكذا العمل في كل راو وقارىء[1] » .

وجاء في (الحدائق الناضرة) : « وقد نقل جدي - قدس سره - عن بعض محققي القراء : أنه أفرد كتاباً في أسماء الرجال الذين نقلوا هذه القراءات في كل طبقة وهم يزيدون عما يعتبر في التواتر[2] » .

أما الجروح التي جاءت في بعض القراء ، وفي مجال القراءة بالخصوص فانها كانت تطبيقا لأصول علم أسانيد القراءة لتمييز صحيحها من غيره ، كما يفعل - تماما - في رواية الحديث الشريف ، ولا قائل ان علم الجرح والتعديل في رجال الحديث موجب لعدم الأخذ بالحديث ولاعتباره اجتهادا من الرولة ، بل يأتي مثل هذا العمل مطمئنا وموثقاً للأخذ بالحديث ولأن القراءة هي الأخرى سنة كان لها علم أسانيد وجرح وتعديل لرجالها ، ويأتي له مزيد بيان .

---

(١) البرهان ١/ ٣٢٥

(٢) ٨/ ٩٥

٤ ـ بالعلم الاجمالي بعدم صدور بعض القراءات عن النبي صلى الله عليه وسلم الموجب للتعارض بين القراءات ، الموجب ـ بدوره ـ لتساقطها والرجوع الى الاصول اللفظية والعملية[١] .

ويؤخذ عليه : أن الإشكال المذكور آتٍ أيضا في الأحاديث فاننا نعلم اجمالا بعدم صدور بعضها من النبي صلى الله عليه وسلم .

وعليه : فما يتبع من طرق لرفع هذا العلم الاجمالي في الحديث تتبع في القراءة . ولأنه لا قائل من المسلمين بطرح الاحاديث والرجوع الى الأصول بسبب حصول مثل هذا التعارض المشار اليه ، وذلك لوجود ما يحل هذا العلم الاجمالي المذكور الى علم تفصيلي ، وهو اتباع أصول وقواعد علمي الرجال والحديث .

لذلك فاننا لا نستطيع أن نقول بمثل هذا الاشكال في القراءات لأنها ـ هي الأخرى ـ سنة ، نتبع فيها ما نتبعه في الحديث وهو ما قام به علماء القراءات من تقويم القارىء والقراءة ، وذلك بوضعهم علم أسانيد القراءات وعلم القراءات بقواعده وضوابطه . ومن أمثال تقويمات علماء القراءات ونقودهم ما جاء في قول الهروي في سبب ادخاله قراءتي أبي جعفر المدني ويعقوب الحضرمي في القراءات المعتبرة : « لانا وجدنا قراءتهما على الشرط الذي وجدناه في قراءة غيرهما ـ ممن بعدهما ـ في العلم والثقة بهما ، واتصال اسنادهما ، وانتفاء الطعن في روايتهما[٢] .

وهو مما يلقي الضوء على ما أشرت اليه من التزام العلماء بتقويم الرواية القرائية فاختيار القراءة أو رفضها .

ومما يعطينا صورة جلية عن مدى اهتمام علماء القراءات بتقويم شخصية القارىء جرحا أو تعديلا ، ما نقرؤه في كتب طبقات القراء أمثال ما جاء في طبقات

---

(١) البيان ١٨٢ .

(٢) البرهان ١/ ٣٣٠ .

ابن الجزري[1] ، عند ترجمته لهارون بن حاتم أبي بشر الكوفي البزاز حيث قال : « مقرىء مشهور ضعفوه » ، وما جاء منه أيضا[2] ، في ترجمة مجاهد بن جبر حيث قال : « وله اختيار في القراءة رواه الهذلي في كامله باسناد غير صحيح » . وما جاء في طبقات الذهبي[3] في ترجمة يحيى بن ابراهيم المرسي : « وسمعت بعضهم يضعّفه وينسبه الى الكذب والى ادعاء الرواية عمن لم يلقه ولا أجاز له ويشبه أن يكون ذلك في وقت اختلاطه لأنه اختلط في آخر عمره » . وقال فيه أيضا : « وقد وقع لنا سنده بالقراءات عاليا وفرحنا به وقتا ، ثم أوذينا فيه وبان لنا ضعفه » . وقال أيضا في المصدر نفسه[4] ، في ترجمة أبي القاسم الهذلي مؤلف كتاب الكامل : « وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات ، وحشد في كتابه أشياء منكرة لا تحل القراءة بها ولا يصح لها اسناد » . وقال ابن الجزري في طبقاته[5] في ترجمة محمد بن الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي الذي روى القراءة المنسوبة الى الامام أبي حنيفة وروى عن أبيه الحسن بن زياد صاحب أبي حنيفة القراءة : « وهو ضعيف في الرواية جدا كذّبه غير واحد » . وقال ابن مجاهد في كتاب السبعة[6] : « ومنها ما توهم فيه من رواه فضيّع روايته ونسي سماعه لطول عهده ، فاذا عرض على أهله عرفوا توهمه وردوه على من حمله ، وربما سقطت روايته لذلك ، باصراره على لزومه وتركه الانصراف عنه ، ولعل كثيرا ممن ترك حديثه ، واتهم في روايته كانت هذه علته » .

ومما يلقي الضوء على المسألة أيضا : أن نقرأ في مؤلفات القرائيين مؤلفاً بعنوان (المدخل الى معرفة أسانيد القراءات ومجموع الروايات) لأحمد الباطرقاني المتوفى سنة ٦٠ هـ [7] ، وراجع مقدمة (غيث النفع) للوقوف على مثل ذلك .

---

(١) ٢/٣٤٥ .

(٢) ٢/ ٤٣ .

(٣) ١/ ٣٦٤ .

(٤) ١/ ٣٤٩ .

(٥) ١/ ٢١٣ .

(٦) ٤٩ .

(٧) معجم المؤلفين : ٢/ ٤٥ .

ثم ان لازم هذا العلم الاجمالي ـ عند من لم ير وجهاً لحلّه ـ : أما الاحتياط بقراءة جميع القراءات في (فاتحة الكتاب) في الصلاة لأن اختيار بعضها لا يفرغ ذمة المكلف مما شغلت به يقيناً ـ وهو وجوب قراءة الفاتحة ـ وأما طرح القراءات جميعها ، وعند ذلك بماذا يقرأ في موضعها ، وهي مطلوبة من المكلف وجوباً بقول واحد من المسلمين لا اختلاف فيه .

ولا قائل بطرحها من المسلمين ، كما لا قائل بلزوم الاحتياط المذكور .

وقول أهل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ الذي يذكره الخوئي فيما بعد : « اقرءوا كما يقرأ الناس ، اقرءوا كما علمتم »[1] ، دليل صريح على اعتبارهم القراءات المعروفة في زمنهم قرآناً[2] ، والا لما أمروا بقراءتها في الصلاة ، كما هو نفسه (أعني الخوئي) يصرح بذلك في استفادته مؤدى الحديث المذكور .

مع أن هذا الحديث جاء في سنده سالم بن أبي سلمة وهو ضعيف قال الشيخ محمد طه نجف في (اتقان المقال) : « سالم بن أبي سلمة الكندي السجستاني حديثه ليس بالنقي ، وان كنا لا نعرف منه الا خيراً ، له كتاب . . عنه : ابنه محمد (جش) . . وفي (قد) عن (غض) ضعيف ، روايته مختلطة » .

والذين احتجوا به من فقهاء الامامية استندوا الى جبر عمل الاصحاب لضعفه ، وهذا ليس من منهج السيد الخوئي حسبما يذكره في محاضراته الأصولية .

والذي أحسبه قوياً أن الحديث المذكور جاء لابعاد أتباع أهل البيت من التعصب لقراءة بعينها كما كان شايعاً في ظرف صدور أمثال هذا الحديث ويؤيده

---

(١) البيان ١٨٢ .

(٢) ومنها القراءات السبع فـ (قد كان الناس بمكة على رأس المائتين على قراءة ابن كثير ، وبالمدينة على قراءة نافع ، والكوفة على قراءة حمزة وعاصم وبالبصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب ، وبالشام على قراءة ابن عامر ، وفي رأس الثلاثمائة أثبت ابن مجاهد اسم الكسائي وحذف يعقوب)راجع مفتاح الكرامة ٢/٣٩٢ .

فتوى فقهاء الامامية بكراهة تجريد قراءة بعينها المستفادة مما أشرت اليه ـ كما سيأتي .

ولا أدري كيف يجمع الخوئي بين الحديث وقوله سابقا باسقاط القراءات من الحجية وعدم اعتبارها قرآنا .

يضاف اليه : أن رأي الخوئي ـ هنا ـ مخالف لما عرف عن مذهب الامامية من اعتبارهم القراءات المشهورة ـ كقراءات السبعة ـ قرآنا .

يقول محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) الملقب بـ (شيخ الطائفة) : « واعلموا أن العرف من مذهب أصحابنا والشائع في أخبارهم ورواياتهم : أن القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد ، غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء ، وأن الانسان مخير بأي قراءة شاء قرأ ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها ، بل أجازوا القراءة بالمجاز ، الذي يجوز بين القراء ، ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر[١] » .

ويقول الفضل بن الحسن الطبرسي : « فاعلم أن الظاهر ـ من مذهب الامامية : أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات ، الا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة[٢] .

ويقول محمد باقر الخوانساري : « لا خلاف في حجية السبع منهم مطلقا ، ولا في الثلاث المكملة للعشر في الجملة[٣] » .

وذهب الشهيد الأول المتوفى سنة ٧٨٦ هـ (وهو امام في الفقه والنحو

---

(١) التبيان ١/ ٧ .
(٢) مجمع البيان ١/ ٢٥ .
(٣) روضات الجنات ٢٦٣ .

والقراءة)[1] ـ الى « أن القراءات العشر متواترة ومجمع على جواز القراءة بها »[2] .

وجاء في روضات الجنات[3] : « القراءة المعتبرة المتفق على إجرائها وكفايتها ، بل نزل الروح الأمين بجملتها ، وتواترها بوجوهها السبعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قاطبة أهل الاسلام ، كما صرح بذلك جماعة من الفقهاء الأعلام ، معتضدا بغير واحد من النبوي الوارد في هذا المعنى مثل حديث (الخصال[4]) الذي فيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتاني آت من الله وقال : ان الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، قلت : يا رب ، وسع وسع على أمتي ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف .

وقد أمرنا بطريق أهل بيت الوحي والتنزيل أيضا : ان نقرأ القرآن كما يقرؤه الناس ، وأشهر ما استقرت عليه قراءة الناس هو هذه السبع المستندة الى أولئك السبعة المشهورين المعتمد على قراءتهم » .

وقال محمد الجواد العاملي : « وفي (جامع المقاصد) : الاجماع على تواترها (يعني القراءات السبع) وكذا في (العزية) ، وفي (الروض) : اجماع

---

(١) ابن الجزري في غاية النهاية ٢/ ٢٦٥ .

(٢) روضات الجنات ٢٦٣ .

(٣) م . ن .

(٤) تأليف محمد بن علي بابويه الفقيه والمحدث الامامي المعروف بـ « الصدوق » المتوفى سنة ٣٨١ هـ .

والحديث في (الخصال ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨) : « حدثنا محمد بن علي بن بابويه رضي الله عنه ، قال حدثنا محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد عن أحمد بن هلال عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني آت من الله فقال : ان الله عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : يا رب وسع على أمتي ، فقال ان الله عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت يا رب وسع على أمتي ، فقال : ان الله عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : يا رب وسع على أمتي ، فقال : ان الله يأمرك ان تقرأ القرآن على سبعة أحرف » .

العلماء ، وفي (مجمع البرهان) نفي الخلاف في ذلك ، وقد نعتت بالتواتر في الكتب الاصولية والفقهية كالمنتهى والتحرير والتذكرة والذكرى والموجز الحاوي وكشف الالتباس والمقاصد العلية وغيرها . وقد نقل جماعة حكاية الاجماع على تواترها عن جماعة ، وفي رسم المصاحف بها وتدوين الكتب لها حتى انها معدودة حرفاً فحرفاً ، وحركة فحركة ، مما يدل على أن تواترها مقطوع به كما أشار الى ذلك في مجمع البرهان »[1] .

ويقول أبو الحسن الشعراني الامامي المعاصر : « واتفق المسلمون قاطبة على اعتماد القراء في قراءتهم على السمع والنقل الموثوق لا على الاجتهاد والاستشهاد بقواعد اللغة العربية فمن الواضح الجلي أنه يمكننا قراءة ياء النسب بالفتح أو السكون ومع ذلك لا نرى قراءة بالوجهين . فقرئت في (٥٦٦) موضعاً بالسكون وفي (١٨) موضعاً بالفتح ، وفي (٢١٢) موضعاً قرأها البعض بالسكون وآخرون بالفتح ، » ثم يقول ـ بعد أن يذكر جملة من الأمثلة القرائية كالمثال المقدم ـ « ولدينا اليوم القراءات السبع بأسماء قرائها مذكورة في كتب التفسير وحاليا تدوي تلك القراءات في أسماعنا نتيجة جهود جهابذة علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومواطنهم من المحيط الاطلسي حتى المحيط الهندي فهم دونوا كتباً خاصة في هذا الصدد ، وكتاب (التيسير) من أهم الكتب الوثائقية ، فقد كتبه اسباني (أندلسي) ، وأيد صحة النقل ونزاهة المؤلف آلاف علماء القراءات »[2] .

وأما الأبياري فيقول : « وما نرى صحيحا هذا الذي ذهب اليه القراء من تأويلات كثيرة تكاد تحمّل الكلمة عشرين وجها أو ثلاثين أو أكثر من ذلك ، حتى لقد بلغت طرق هذه القراءات للقراءات العشر فقط ، تسعمائة وثمانين طريقة .

فلقد كان هذا اجتهاداً من القراء ، ولكنه كان اسرافا في ذلك الاجتهاد وانك لو تتبعت ما عقب به الزمخشري في تفسيره على القراء ، لوجدت له الكثير مما رده

---

(١) مفتاح الكرامة ٢/ ٢٩٠ .

(٢) مجلة (الفكر الاسلامي) العدد الأول ص ٧١ ـ ٧٢ .

عليهم ولم يقبله منهم . . . وكذلك تتبع ابن قتيبة القراء وأحصى لهم الكثير ، وفي ذلك يقول : (وما أقل من سلم من هذه الطبقة في حرفه من الغلط والوهم[1]) .

ونحن حين نمكن لهذه القراءات أن تعيش ، نكون كمن يحاول أن يخرج على ما أراده عثمان ومعه علي من قبل ، ثم الصحابة على وحدة القرآن تلاوة ، هذا بعد أن صح لنا أن هذه القراءات اجتهاد وأن رسم المصحف واهماله نقطا وشكلاً جرّا الى سيء منها[2] » .

ولا أدري كيف يعتبر الابياري تعدد الطريق - الذي عبر عنه بالطريقة - تعددا للقراءة ، والطريق لا يعني أكثر من نسبة القراءة الى الراوي عن الراوي ، ذلك أن العلماء قسموا نسبة القراءة الى الأئمة ومن بعدهم ، الى أربعة أقسام هي :

١ - القراءة : اذا نسبت الى أحد الأئمة . كقراءة نافع .

٢ - الرواية : اذا نسبت الى الراوي عن الامام . كرواية قالون عن نافع .

٣ - الطريق : اذا نسبت الى الراوي عن الراوي . كطريق أبي نشيط عن قالون .

٤ - الوجه : اذا نسبت الى اختيار القارى[3] .

ثم ان كلا من هذه الأنواع الأربعة لا بد فيه من التعدد ليبلغ الاسناد حد التواتر أو الاستفاضة على الاقل .

وحصر الطرق للقراء العشرة في العدد المذكور هو اختيار العلماء ، اذ ربما يتعسر حصرها مع اختلاف الأزمنة والأمكنة .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٤٢ .

(٢) الموسوعة القرآنية ١/ ٨٠ .

(٣) راجع : اتحاف فضلاء البشر ١٧ - ١٨ .

ويعلل مكي بن أبي طالب هذه الكثرة بقوله : « فان سأل سائل فقال : ما العلة التي من أجلها كثر الاختلاف عن هؤلاء الأئمة ؛ وكل واحد منهم قد انفرد بقراءة اختارها مما قرأ به على أئمته ؟

فالجواب : أن كل واحد من الأئمة قرأ على جماعة بقراءات مختلفة فنقل ذلك على ما قرأ ، فكانوا في برهة من أعمارهم يقرئون الناس بما قرءوا ، فمن قرأ عليهم بأي حرف كان لم يرده عنه ، اذ كان ذلك مما قرءوا به على أئمتهم ، لا ترى أن نافعا قال : قرأت على سبعين من التابعين فما اتفق عليه اثنان أخذته ، وما شذ فيه واحد تركته[1] » .

وقد لاحظ هذه الكثرة أيضا الدكتور عبد الصبور شاهين ، وخرج منها بالنتائج التالية :

١ ـ أنها في القراءات الشواذ .

٢ ـ أنها محصورة في نطاق عدد معين من الأحرف .

٣ ـ أنها كلها مروية[2] .

وما ذكره الزمخشري وابن قتيبة لا يعدو رأيهما الخاص في تقديم القواعد النحوية على القراءة ، والمسألة خلافية .

فقد ذهب أكثر نحاة البصرة ونفر قليل ممن تابعهم أمثال الزمخشري وابن قتيبة الى رد بعض القراءات لمخالفتها لقواعدهم النحوية التي وضعوها خارج دائرة هذه القراءات وأمثالها من اللهجات والاساليب العربية .

وذهب متأخرو النحاة الى رفض ما ذهب اليه متقدموهم ممن أشرت اليهم ،

---

(١) الابانة ٤٥ .

(٢) راجع : القراءات القرآنية ٢١٩ .

فقبلوا ما ردوا من قراءات وعدلوا على ضوئها ما خالفها من قواعد نحوية[1]

يضاف اليه : أن الابياري بنى رأيه هذا على أساس من الاختلاف في قراءة خط المصاحف الأئمة ، الشبهة التي أثارها من المتأخرين المستشرق جولد تسهير . وسيأتي الوقوف عندها ونقدها في موضوع (اختلاف القراءات وأسبابه) .

أما مذهب جمهور العلماء ـ وان كنا ملزمين بالأخذ به الآن لأن الدوافع التي دفعت الى وضع تلكم الشروط لا تزال قائمة ـ فقد يلاحظ عليه أن ما ثبت يقيناً أن النبي (ص) قرأ به أو أقر من قرأ به أمامه ، ولم يكن متوفرا على الشرطين الآخرين (أعني موافقة العربية ومطابقة الرسم) ، لا نستطيع عده غير قرآن لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقرأ بغير القرآن في موضع القرآن .

ودلل ابن دقيق العيد على رأيه بقوله : « الشواذ نقلت نقل آحاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ضرورةً : أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بشاذ منها وان لم يعين .

قال : فتلك القراءة تواترت وان لم تتعين بالشخص ، فكيف تسمى شاذا ، والشاذ لا يكون متواترا[2] » .

ويلاحظ عليه : أن نقل الآحاد لا يفيد القطع ما لم يقترن بما يفيد العلم . وعليه : فلا يثبت به قرآن .

ومتى اقترن بما يوجب القطع بصدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلا أو تقريرا ـ فهو قرآن ، الا أنه لا يقرأ به للعلة التي دعت الى رفض الشاذ وهي المحافظة على نص القرآن .

---

(١) راجع كتابنا (قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية) . لتقف على مزيد بيان للمسألة .

(٢) النشر ١/ ١٥ .

على أن هذا لا يتم الا في القراءة النادرة الاستعمال ، وذلك لتوافر الدواعي على نقل القرآن بالتواتر .

والنص التالي يضع أمامنا الطريقة السليمة في اختيار القراءة الصحيحة قال في البرهان[1] : « قال الامام أبو محمد اسماعيل بن ابراهيم الهروي في كتاب (الكافي) له : فإن قال قائل : فلم أدخلتم قراءة أبي جعفر المدني ويعقوب الحضرمي في جملتهم ، وهم خارجون عن السبعة المتفق عليهم ؟

قلنا : انما اتبعنا قراءتهما كما أتبعنا السبعة ، لانا وجدنا قراءتهما على الشرط الذي وجدنا في قراءة غيرهما ممن بعدهما ، من العلم والثقة بهما ، واتصال اسنادهما ، وانتفاء الطعن في روايتهما .

ثم أن التمسك بقراءة سبعة فقط ليس له أثر ولا سنة ، وانما السنة أن تؤخذ القراءة اذا اتصلت روايتها نقلا وقراءة ولفظا ، ولم يوجد طعن على أحد من رواتها .

ولهذا المعنى قدمنا السبعة على غيرهم وكذلك نقدم أبا جعفر ويعقوب على غيرهما .

---

(١) ١/ ٣٣٠ .

الفصل الثالث

مصادر القراءات



مصادر القراءات

تبيناً ـ فيما سبق ـ أن القراءة سنة ، نقلها الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقلها التابعون عن الصحابة ، ثم تناقلها من تلاهم من أجيال المسلمين ، جيلا عن جيل . شأنها في ذلك شأن الحديث الشريف .

ويعني هذا : أن المصدر الذي استقيت منه مادة القراءات القرآنية هو تلكم الروايات التي تتحدث عما سمع مِنْ في رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراءات ، وعما قرىء بمسمع منه صلى الله عليه وسلم وأمضاه .

وقد تمثلت هذه الروايات القرائية في الآتي :

١ ـ الاختلافات بين صحابة النبي صلى الله عليه وسلم في عهده ، كالذي حدث بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم .

« قال البخاري ـ رحمه الله ـ : ثنا سعيد بن عفير ، ثنا الليث ، حدثني عقيل عن أبي شهاب ، قال : أخبرني عروة بن الزبير : أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارىء حدثاه : أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم

يقرأ سورة « الفرقان » في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلـم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلبيته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كذبت ، فان رسول الله صلى اللـه عليه وسلـم قد أقرأنيهـا على غـير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيهـا ، فقـال رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : « اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « كذلك أنزلت » ، ثم قال : « اقـرأ يا عمـر » ، فقـرأت القـراءة التـي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذلك أنزلت » ، ان القـرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه[1] » .

٢ ـ الاختلافات التي وقعت في عهد عثمان بن عفان ، والتي تحدثنا عنها فيما سبق في حديثنا عن (نشأة القراءات وتطورها) .

ونتبين ـ هنا أيضا ـ أن الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم هي المصدر الوحيد والأصيل للقراءة عند المسلمين .

جاء في حديث ابن الجزري عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت من الصحابـة وعن ابن المكندر وعـروة بن الزبـير وعمـر بن عبـد العـزيز وعامـر الشعَبـي من التابعين : أنهم قالوا : « القراءة سنـة يأخذهـا الآخـر عن الأول ، فاقـرؤ وا كما علمتموه[2] » .

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ٣٦ .
(٢) النشر ١/ ١٧ .

ويقول اسماعيل بن ابراهيم الهروي : « السنة أن تؤخذ القراءة اذا اتصلت روايتها نقلا وقراءة ولفظا ، ولم يوجد طعن على أحد من رواتها[1] » .

ويقول أبو عمرو عثمان بن الصلاح : « يشترط أن يكون المقروء به قد تواتر نقله عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرآنا ، أو استفاض نقله كذلك[2] » .

ويقول ابن الجزري : « وليحذر القارىء الاقراء بما يحسن في رأيه دون النقل أو وجه اعراب أو لغة دون رواية[3] » .

ويقول أبو عمرو الداني : « وأئمة القراء لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، والرواية اذا ثبتت عندهم لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها[4] » .

ويقول جولدتسيهر : « فلا اعتراف بصحة قراءة ولا تدخل قراءة في دائرة التعبير القرآني المعجز المتحدي لكل محاولات التقليد الا اذا أمكن أن تستند الى حجج من الرواية موثوق بها[5] » .

وقال النوري الصفاقسي : « القراءة سنة متبعة ، ونقل محض ، فلا بد من اثباتها وتواترها ، ولا طريق الى ذلك الا بهذا الفن[6] » (يعني علم الأسانيد) .

---

(١) البرهان ١/ ٣٣٠ .
(٢) النشر ١/٣٨ .
(٣) منجد المقرئين ٣ .
(٤) مناهل العرفان ١/ ٤١٥ نقلا عن : جامع البيان .
(٥) مذاهب التفسير الاسلامي ٥٥ .
(٦) غيث النفع ٢١ .

وذكر ابن مجاهد ـ هنا ـ حديثين[1] :

عن ابن مسعود : قال « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم ، وعن علي : قال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرءوا القرآن كما علمتم » . وفي ضوئه : منعوا القراءة بالقياس المطلق « وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع اليه ، ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه[2] » .

ولذلك ـ أيضا ـ « كان كثير من أئمة القراءة كنافع وأبي عمرو يقول : لولا أنه ليس لي أن أقرأ الا ما قرأت ، لقرأت حرف كذا وكذا[3] » .

وشذ من المتقدمين ابن مقسم ، حيث ذهب الى جواز القراءة بما وافق الرسم وان لم يرو[4] ، ومن المعاصرين أبو القاسم الخوئي الذي قرّب أن القراءات اجتهاد من القراء ـ كما تقدم ـ وابراهيم الابياري الذي نص على أنها اجتهاد .

وجاء في الاتقان : « وقال قوم من المتكلمين : أنه يسوغ أعمال الرأي والاجتهاد في اثبات قراءة وأوجه وأحرف اذا كانت تلك الأوجه صوابا في العربية ، وان لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بها .

وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطئوا من قال به[5] .

والرأي بأن القراءة اجتهاد مخالف لما عليه المسلمون عامة علما وعملا ، وذلك كاف

---

(١) السبعة ٤٦ و٤٧ .
(٢) النشر ١/١٧ .
(٣) م . ن .
(٤) غيث النفع ٢١٨ .
(٥) ١/٧٨ نقلا عن الانتصار القاضي أبي بكر .

في رده ، مضافا الى ما قدمناه من نقاشه ونقده فيما تقدمه من بحث .

وذهب بعض العلماء الى اعتداد القياس المقبول مصدرا اخر من مصادر القراءة .

والقياس المقبول يعني : حمل ما لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم على ما روي عنه في جواز القراءة به لوجود علة مشتركة بين الحرفين تسوغ ذلك .

ونستطيع أن نتبينه بوضوح معنى ومثالا من النص التالي الذي ورد في مقدمة كتاب المباني ، قال صاحبه : « والوجه الثاني من القراءات : أن يكون القرآن قد نزل على لغة ، ثم خرج بعض القراء فيه الى لغة أخرى من لغات العرب ، مما لا يقع فيه خلاف في المعنى ، فترك النكير عليه تيسيرا وتوسعة ، فنقل ذلك ، وقرأ به بعض القراء ، وذلك بمنزلة ما ذكر عن أنس بن مالك أنه قرأ (س ٩٤ آ ٢) : (وحللنا عنك وزرك) . ولا ينكر أن يكون قد قرئ من هذا الضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره[1] » .

والمسألة مختلف فيها بين العلماء[2] .

والذي عليه الجمهور عدم جوازه لاشتراطهم صحة الرواية في كل أقسام القراءة . وهو ما نختاره ، لأن القياس حجة ظنية لا يجوز الرجوع اليها باعتباره أصلا ، الا بدليل خاص من القرآن أو السنة أو العقل ، وليس في القرآن أو السنة ما يسوغ الرجوع اليها في القراءات .

أما العقل ـ هنا ـ فانه يمنع من القياس لأن قرآنية القرآن لا تثبت الا بما ينهى الى اليقين ، والقياس ـ هنا ـ لا يوصل الى يقين .

وذهب الدكتور طه حسين الى أن مصدر القراءات هو اللهجات ، قال : « وهنا وقفة لا بد منها ، ذلك أن قوما من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع

---

(١) ١٧٠ .
(٢) النشر ١/١٧ .

متواترة عن النبي نزل بها جبريل على قلبه ، فمنكرها كافر من غير شك ولا ريبة . ولم يوفقوا لدليل يستدلون به على ما يقولون سوى ما روي في الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » .

والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير وليس منكرها كافرا ولا فاسقا ولا مغتمزاً في دينه ، وانما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها . . فأنت ترى أن هذه القراءات التي عرضنا لها انما هي مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات[1] .

والواقع أنني لا أدري من أين استبان الدكتور طه حسين أن العلماء استدلوا على تواتر القراءات السبع بالحديث الشريف ، وهم يعرفون ـ كل من لديه قليل من الفكر ـ أن التواتر اتفاق جمع من الرواة أو الناس يمنع العقل ـ أو العادة ـ تواطؤهم على الكذب .

وكل ما للحديث من علاقة بالقراءات هي محاولة بعض العلماء تفسير الاحرف السبعة الوارد ذكرها في الحديث بالقراءات السبع ليثبت أنها قرآن منزل . لا أكثر من هذا .

وقد أشار الى هذا الشيخ ابو شامة المقدسي ناقداً لتلك المحاولة المشار اليها وراداً قول اصحابها ، قال : « وقد ظن جماعة ممن لا خبرة له بأصول هذا العلم ان قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله (أنزل القرآن على سبعة أحرف) فقراءة كل واحد من هؤلاء حرف من تلك الأحرف ، ولقد أخطأ من نسب الى ابن مجاهد انه قال ذلك .

قال ابو طاهر عبد الواحد بن ابي هاشم : « رام هذا الغافل مطعناً في أبي بكر شيخنا فلم يجده فحمله ذلك على أن قوّله قولاً لم يقله هو ولا غيره ، ليجد مساغاً الى

---

(١) في الادب الجاهلي ٩٥ ـ ٩٦ .

قلبه ، فحكى عنه أنه اعتقد أن تفسير معنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلـم ـ (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أن تلك السبعة الاحرف هي قراءة السبعة القراء الذين ائتم بهم أهل الامصار ، فقال على الرجل إفكاً واحتقب عاراً ، ولم يحظ من اكذوبته بطائل ، وذلك ان ابا بكر ـ رحمه الله ـ كان ايقظ من أن يتقلد مذهباً لم يقل به أحد ، ولا يصح عند التفتيش والفحص »[٢] .

يضاف اليه : أن إلقاء نظرة قصيرة على مفردات القراءات يثبت لنا ـ وبوضوح ـ أن ليس كل القراءات لهجات ، لنأخذ ـ مثالا ـ القراءات التالية :

يخدعون ويخادعون/ يكذبون ويكذّبون/ فأزلهما وفأزالهما/ لا يقبل ولا تقبـل/ واعدنا ووعدنا/ نغفر ويغفر وتغفر/ عما تعلمون وعما يعملون/ خطيئته وخطيئاته/ لا تعبدون ولا يعبدون/ حَسَنا وحُسْنا[١]) .

ونتساءل : ماذا فيها من لهجة ؟! . . وهكذا .

نعم : تأتي اللهجات في مثل ما ذكره ابن قتيبة من امالة وادغام وما شاكلهما ، وفي بعض الكلمات أمثال : كلمة « منسأة » بالألف ، وكلمـة « الرُّجـز » بضـم الـراء وكلمة (حاش) بحذف الألف الثانية وكلمة (ورق) باسكان الراء وكسرها .

وهو مما أمضاه الرسول صلى الله عليه وسلم تيسيرا وتوسعة على الأمة ، فيرجع في (مصدره) الى تقرير النبي صلى الله عليه وسلم وامضائه ـ كما سيأتي شرحه مفصلا في مبحث (اختلاف القراءات وأسبابه) ـ وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم سنة كقوله وفعله .

---

(١) المرشد الوجيز ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢) وكلها في سورة البقرة .

الفصل الرابع

إختلاف القراءات وأسبابه

اختلاف القراءات وأسبابه

أوجه الاختلاف :

قام كل من ابن قتيبة والفخر الرازي وابن الجزري ، وامام آخر ـ لم تذكر المصادر اسمه ـ حكى عنه الباقلاني ، باستقراء القراءات على اختلاف أنواعها ، محاولين حصر وجوه الخلاف فيها .

وقد انتهت محاولات الجميع الى أن أوجه الاختلاف في القراءات منحصرة بالاتي :

١ ـ الاختلاف في حركات الكلمة بلا تغير في معنى الكلمة وصورتها . نحو (ويضيق صدري)[١] حيث قرىء برفع (يضيق) ونصبها ، ونحو (هن أطهرُ لكم)[٢] ، حيث قرىء برفع (أطهر) ونصبها .

٢ ـ الاختلاف في الحركات مع تغيير المعنى وبقاء الصورة ـ نحو : (وكفلها زكريا)[٣] فقد قرىء بتخفيف الفعل ورفع (زكريا) وقرىء بتشديد الفعل ونصب زكريا .

٣ ـ الاختلاف في حروف الكلمة مع تغير معنى الكلمة وبقاء صورتها . نحو

---

(١) الشعراء/١٣ .

(٢) هود ٧٨ .

(٣) آل عمران ٣٧ .

(انظر الى العظام كيف ننشزهـا)[1] حيث قرىء (ننشزهـا) بالـزاي المعجمـة ، وقرىء (ننشرها) بالراء المهملة .

٤ ـ الاختلاف في الحروف مع تغير الصورة وبقـاء المعنـى . نحـو : (كالعهـن المنفوش)[2] حيث قرئت (كالصـوف المنفـوش) ، ونحـو : (وزادكم في الخلـق بسطة)[3] بالسين المهملة و (بصطة) بالصاد المهملة .

٥ ـ الاختلاف في الحروف مع تغـير المعنـى وتغـير الصـورة . نحـو : (وطلـع منضود)[4] حيث قرىء (وطلح) بالحاءِ المهملة وقرىء (وطلع) بالعين المهملة .

٦ ـ الاختلاف في التقديم والتأخير . نحو : (وجـاءت سكرة الموت بالحـق)[5] حيث قرئت (وجاءت سكرة الحق بالموت) ، ونحو (فأذاقها اللـه لبـاس الجـوع والخوف)[6] الذي قرىء أيضا (فاذاقها الله لباس الخوف والجوع) .

٧ ـ الاختلاف في الزيادة والنقصان . نحو : (وما عملت أيديهم)[7] الذي قرىء أيضا (وما عملته أيديهم) ونحو (ان اللهَ هو الغني الحميد)[8] الذي قرىء أيضا (ان الله الغني الحميد)[9] .

---

(١) البقرة/ ٢٥٩ .

(٢) القارعة/ ٥ .

(٣) الاعراف/ ٦٩ .

(٤) الواقعة/ ٢٩ .

(٥) ق/ ١٩ .

(٦) النحل/ ١١٢ .

(٧) يس/ ٣٥ .

(٨) لقمان/ ٢٦ .

(٩) راجع : تأويل مشكل القرآن ٢٨ ـ ٢٩ . فضائل القـرآن لابـي كشمـير ٣٨ (نقـل فيه ما حكاه الباقلاني) . النشر ١/ ٢٦ ـ ٢٧ (ذكر فيه وجوهه ونقل وجوه ابن قتيبـة والـرازي) . القـراءات واللهجات ١٣ ـ ٢٠ (نقل جميع الوجوه وقارن بينها) .

ويلحق ابن الجزري الاختلاف في الاصول القرائية بالوجه الاول يقول : « وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشهام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والامالة والفتح والتحقيق والتسهيل والابدال والنقل ، مما يعبر عنه بـ (الاصول) ، فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى ، لان هذه الصفات المتنوعة في آرائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحداً ، ولئن فرض فيكون من الاول »[1] .

ويعقب ابن قتيبة على وجوهه بقوله : « وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الامين على رسوله عليه السلام وذلك انه كان يعارضه في كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن فيحدث الله اليه من ذلك ما يشاء وينسخ ما يشاء وييسر على عباده ما يشاء ، فكان من تيسيره أن أمره بأن يقرىء كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم[2] » .

أسباب الاختلاف :

أما أسباب الاختلاف ، فقد اختلف فيها على أقوال هي :

١ ـ اختلاف قراءة النبي (ص) :

فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتزم عند تعليمه القرآن للمسلمين لفظا واحدا .

روى أبو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد ، كلاهما عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب قال : ماحك في صدري شيء منذ أسلمت ، الا أنني قرأت آية ، وقرأها آخر غير قراءتي ، فقلت : أقرأنيها رسول الله (ص) ، فقال : أقرأنيها رسول الله (ص) . فأتينا رسول الله (ص) ، فقلت : يا رسول الله أقرأتني آية كذا وكذا ؟! قال : نعم . وقال الآخر : أليس

(١) النشر ١ / ٢٦ ـ ٢٧ .
(٢) تأويل مشكل القرآن ٣٠ .

تُقرئني آية كذا وكذا ؟! قال : نعم . فقال : ان جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يمني وميكائيل عن يساري فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف ، وكل حرف كاف شاف[1] ومن ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن ابي بكر : « أن النبي (ص) قرأ : (متكئين على رفارف خضر وعباقرى حسان)[2] ، وأخرج من حديث أبي هريرة : أنه (ص) قرأ : (أفلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرات أعين) ـ[3] » .

ومنه ما روى عنه (ص) : أنه قرأ (مالك يوم الدين) و (ملك يوم الدين)[4]

٢ ـ اختلاف تقرير النبي (ص) لقراءة المسلمين :

قال ابن قتيبة : « فكان من تيسيره أن أمره بأن يقرىء كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ، فالهذلي يقرأ (عتى حينْ)[5] يريد (حتى حين) لانه هكذا يلفظ بها ويستعملها ، والاسدى يقرأ (تِعلّمون)[6] و (تِعلم)[7] و (تِسود وجوه)[8] و (ألم إعهد اليكم)[9] والتميمي يهمز ، والقرشي لا يهمز ، والاخر يقرأ (واذا قيل هم)[10] ، (وغيض الماء)[11] باشمام الضم مع الكسر ، و (هذه بضاعتنا ردت

---

(١) فضائل القران لابن كثير ٢٨ .
(٢) الرحمن/ ٧٦ .
(٣) السجدة/ ١٧ ـ الاتقان ١/ ٧٧ .
(٤) الفاتحة/ ٤ ـ ابراز المعاني ٥٥ .
(٥) يوسف/ ٣٥ .
(٦) البقرة/ ٢٢ .
(٧) البقرة/ ١٠٦ .
(٨) آل عمران/ ١٠٦ .
(٩) يس/ ٦٠ .
(١٠) البقرة/ ١١ .
(١١) هود/ ٤٤ .

الينا)[1] باتمام الكسر مع الضم و (مالك لا تأمنا)[2] باتمام الضم مع الادغـام ، وهذا ما لا يطوع به كل لسان » .

ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه ، أن يجعل لهم متسعا في اللغات ، ومتصرفا في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدين[3] .

٣ ـ اختلاف النزول :

ذهب الى هذا القول صاحب كتاب المباني في مقدمته ، قال : « والوجه الثالث من القراءات : هو ما اختلف باختلاف النزول بما كان يعرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن على جبريل في كل شهر رمضان ، وذلك بعدما هاجر الى المدينة ، فكان أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتلقفون منه حروف كل عرض ، فمنهم من يقرأ على حرف ، ومنهم من يقرأ على آخر ، الى أن لطف الله ـ عز وجل ـ بهم ، فجمعهم على آخر العرض ، أو على ما تأخر من عرضين أو ثلاثة ، حتى لم يقع في ذلك اختلاف الا في أحرف قليلة ، وألفاظ متقاربة ، والذي وقع من اختلاف حروف الهجاءات فيما أجمعوا عليه ، فرقها أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المصاحف حين انتسخوها لئلا تذهب » .

ولهذه العلة اختلف مصاحف أهل الشام وأهل العراق وأهل الحجاز في أحرف معدودة على ما ذكرناه قبل هذا الفصل ، فأعرفه موفقا ان شاء الله[4] . ويعضده ما روى في قصة عمر وهشام التي مر ذكرها في مبحث (مصادر القراءات) حيث جاء

---

(١) يوسف/ ٦٥ .
(٢) يوسف/ ١١ .
(٣) تأويل مشكل القران ٣٠ .
(٤) مقدمتان في علوم القرآن ١٧٠ ـ ١٧١ .

فيها قوله (ص) : « كذلك أنزلت » مما يدل على أن اختلاف القراءة فيها ، بسبب تعدد النزول .

٤ ـ اختلاف الرواية عن الصحابة :

وهو مذهب جمهور المقرئين ، جاء في تاريخ القرآن للكردي : « وسبب اختلاف القراءات السبع وغيرها ـ كما قال ابن هشام[١] ان الجهات التي وجهت اليها المصاحف كان بها من حمل منه أهل تلك الجهة ، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل .

قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا من الصحابة ، بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط ، امتثالا لامر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن فمن ثَمَّ نشأ الاختلاف بين قراء الامصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد من السبعة[٢] .

والصحابة بدورهم كانوا قد تلقوه سماعا من في رسول الله (ص) وكان ما تلقوه مختلفا ، يقول الزرقاني : « ثم ان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قد اختلف أخذهم عن رسول الله (ص) ، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد ، ومنهم من أخذه عنه بحرفين ، ومنهم من زاد ، ثم تفرقوا في البلاد ، وهم على هذه الحال ، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم ، وأخذ تابعي التابعين عن التابعين ، وهلم جرا ، حتى وصل الامر على هذا النحو الى الائمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وبنشرها[٣] » .

والى هذا الاختلاف أيضا يشير ابن مجاهد في كتاب السبعة معللا اياه بقوله : « ورويت الاثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين[٤] » .

---

(١) هكذا ورد في النسخة المطبوعة وصوابه : ابن أبي هاشم .
(٢) تاريخ القرآن ص ٩٢ نقلا عن فتح الباري على صحيح البخاري .
(٣) مناهل العرفان ١/ ٤٠٦ .
(٤) السبعة ص ٤٥ .

ووقفنا عند استعراضنا لاسانيد القراء السبعة ـ فيما تقدم ـ على اتصالها بالصحابة فالنبي (ص) ، مما يدل عليه دلالة واضحة .

٥ ـ اختلاف اللغات (أو اللهجات) :

ويبدو لي : أن أول من ذهب اليه ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) .

راجع قوله في ذلك في (اختلاف تقرير النبي) المتقدم ذكره . وذهب مذهبه أبو شامة ، يقول : « القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب ، لانه أنزل عليهم كافة وأبيح لهم أن يقرءوه على لغاتهم المختلفة ، فاختلفت القراءات فيه لذلك[١] » .

ويدل على ما ذكره أبو شامة بوضوح ما رواه الضحاك عن ابن عباس : « أن الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب[٢] » . وتبناه من المعاصرين الدكتور طه حسين قال : « انما أشير الى اختلاف آخر في القراءات يقبله العقل ، ويسيغه النقل ، وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها وشفاهها لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبي وعشيرته قريش فقرأته كما كانت تتكلم ، فأمالت حيث لم تكن تميل قريش ومدت حيث لم تكن تمد ، وقصرت حيث لم تكن تقصر ، وسكنت حيث لم تكن تسكن ، وأدغمت أو أخفت أو نقلت حيث لم تكن تدغم ولا تخفى ولا تنقل[٣] » .

وتبناه من المعاصرين أيضاً كل من : علي الجندي ومحمد صالح سمك

---

(١) ابراز المعاني ٤٧٨ .
(٢) في الادب الجاهلي ٩٥ .
(٣) م . ن .

ومحمد أبو الفضل ابراهيم[1] ، على أن هذا السبب لم يكن العلة عندهم ـ لجميع اختلافات القراءات ، وانما لبعضها ، كما أشاروا اليه .

وهو ما نختاره ـ هنا ـ لما سبق منا في مناقشة الدكتور طه حسين في موضوع (مصادر القراءات) . فراجع .

وهذا النوع من الاختلاف داخل ـ فيما أرى ـ ضمن تقرير النبي (ص) وامضائه لقراءات المسلمين ، كما ألمح اليه في بعض النصوص المنقولة .

والملاحظ ـ هنا ـ أن جميع العوامل المذكورة يرجع أصحابها القراءات على اختلافها الى الرسول (ص) فعلا أو تقريرا ، والى أنها كانت من باب التيسير والتوسعة على الامة الاسلامية رحمة بها ، ولعل الحديث الشريف (أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤ وا ما تيسر منه) يشير الى ذلك ، وبخاصة في رواية الامام أحمد بن حنبل عن خالد عن حماد عن عاصم عن زر عن حذيفة : « أن رسول الله (ص) قال : لقيت جبريل عند احجار المرا ، فقلت : يا جبريل اني أرسلت الى أمة أمية ، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط ، فقال : ان القرآن أنزل على سبعة أحرف »[2] .

واليه يشير أيضاً ما جاء في (الحدائق الناضرة) : « قال شيخنا الشهيد الثاني في شرح الرسالة الألفية ـ مشيراً الى القراءات السبع ـ فان الكل من عند الله تعالى نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، تخفيفاً على الامة وتهويناً على أهل الملة »[3] .

---

(١) راجع : أطوار الثقافة والفكر ١/ ٨٠ .
(٢) فضائل القرآن لابن كثير ٣٠ .
(٣) ٨/ ٩٦ وراجع مفتاح الكرامة ٢/ ٣٩٢ .

٦ ـ عدم نقط وشكل المصاحف الائمة ، واجتهاد القراء في قراءتها دونما اعتماد على رواية أو نقل عن النبي (ص) :

وهو مذهب المستشرق جولد تسيهر ، قال : « وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات الى خصوصية الخط العربي ، الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة ، تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته ، وعدد تلك النقاط .

بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية ، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الاصلية ما يحدده ، الى اختلاف مواقع الاعراب للكلمة ، وبهذا الى اختلاف دلالتها » .

واذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات في الحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة ، كانا هما السبب الاول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا ، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه [١]» وتأثر بمذهبه من المعاصرين . ابراهيم الابياري وتقدم الحديث عن رأيه عرضا ونقدا في موضوع (التعريف بالقراءات) ، وكذلك الدكتور جواد علي ـ هو الاخر ـ ذهب الى أن اختلاف القراءات كان بسبب الرسم[٢] .

وقد تصدى للرد على جولد تسيهر كثيرون منهم :

١ ـ عبد الوهاب حموده في كتابه (القراءات واللهجات ـ الفصل العاشر) .

٢ ـ محمد طاهر الكردي في كتابه (تاريخ القرآن ـ الرد على الافرنج القائلين باستنباط القراءات عن الرسم) .

٣ ـ الدكتور عبد الرحمن السيد في بحثه (كولد تسيهر والقراءات) المنشور بمجلة المربد . اصدار جامعة البصرة ، السنة الاولى ، العدد الاول .

---

(١) مذاهب التفسير الاسلامي ٨ .

(١) راجع : مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٢ جزء ٢ (لهجات القرآن الكريم) .

٤ ـ الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه (القراءات في نظر المستشرقين والملحدين) .

٥ ـ لبيب السعيد في كتابه (المصحف المرتل) .

ونستطيع أن نلخص مضامين تلكم الردود المشار اليها بما يلي :

١ ـ ان شيوع ظاهرة القراءة القرآنية كان قبل تدوين المصاحف الأئمة ، وكان « الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب[1] » .

٢ ـ ظهور حركة القراءة قبل وجود النقط والشكل ، كما مر مفصلا في حديثنا عن (نشأة القراءات وتطورها) .

٣ ـ اعتماد القراءات على النقل والرواية . كما تقدم بشيء من التفصيل في حديثنا عن (مصادر القراءات) .

وشاهد آخر ، نذكره ـ هنا ـ هو شرح أبي شامة لقول الشاطبي : « وايلاف كل وهو في الخط ساقط » قال في ابراز المعاني[2] : « أي وكلهم (يعني القراء السبعة) أثبت الياء في الحرف الثاني وهو (ايلافهم رحلة)[3] وهذه الياء ساقطة في خط المصحف والاولى ثابتة ، والالف بعد اللام فيها ساقطة وصورتها : (لا يلف قريش الفهم)[4] فأجمعوا على قراءة الثاني بالياء ، وهو بغير ياء في الرسم ، واختلفوا في الاول وهو بالياء .

هذا مما يقويّ أمر هؤلاء القراء في اتباعهم فيما يقرءون النقل الصحيح دون مجرد الرسم وما يجوز في العربية » .

ونذكر هنا ـ أيضا ـ قول الصفاقسي في غيث النفع[5] : « قال الشيخ العارف بالله

---

(١) النشر ١/ ٦ .
(٢) ص ٤٩٩ .
(٣) قريش/ ٢ .
(٤) قريش/ ١ ـ ٢
(٥) ص ٢١٨ .

سيدي محمد بن الحاج في (المدخل) : لا يجوز لاحد أن يقرأ بما في المصحف الا بعد أن يتعلم القراءة على وجهها أو يتعلم مرسوم المصحف وما يخالف منه القراءة ، فان فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الامة . . » .

وقوله الاخر في المصدر نفسه : « لا يلزم موافقة التلاوة للرسم ، لان الرسم سنة متبعة قد توافقه التلاوة وقد لا توافقه ، انظر كيف كتبوا (وجاىء)[1] بالالف قبل الياء و (لا أذبحنه)[2] و (لا اوضعوا)[3] بألف بعد (لا) ومثل هذا كثير ، والقراءة بخلاف ما رسم » .

ويقول أبو شامة أيضا : « والقراءة نقل ، فما وافق منها ظاهر الخط ، كان أقوى ، وليس اتباع الخط بمجرده واجباً ما لم يعضده نقل »[4] .

٤ ـ تناقض كولد تسيهر فيما ادعاه أولا وفيما انتهى اليه آخرا ، يقول الدكتور عبد الرحمن السيد : ولقد ختم كولد تسيهر حديثه عن القراءات بما هدم به ما وصل اليه من نتائج ، وما تمسك به من نظريات ، فقد نقل عن علي ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال عندما سئل عن تحويل آية من القرآن الى معنى قصده : « ان القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول » . فليس للمسلمين رأي في قبوله أو تغييره ، وانما عليهم أن يلتزموا نصوصه ، وأن يقفوا عندما قرىء لهم به » .

وذكر كذلك ما اتجه اليه المسلمون في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وأنها كلها صحيحة .

وأنه : « لا اعتراف بصحة قراءة ولا تدخل قراءة في دائرة التعبير القرآني المعجز المتحدي لكل محاولات التقليد الا اذا أمكن أن تستند الى حجج من الرواية موثوق بها[5] » .

---

(١) الزمر/ ٦٩ .
(٢) النمل/ ٢١ .
(٣) التوبة/ ٤٧ .
(٤) ابراز المعاني ٤٠٦ .
(٥) كولد تسيهر ص ٥٥ .

وأن « أهل السنة المتشددين الذين ـ وان خرجوا في اباحة حرمة القراءة على قراءات القراء المعترف باعتمادها ـ قد ردوا الافتراضات الاختيارية الى دائرة الشواذ المرفوضة ، وحكموا بعدها في طبقتها ، بل قد اقتضت أيضا هذه الافتراضات الاختيارية في بعض الاحيان . . عقوبة صارمة من قبل الدوائر القائمة على التراث الديني . . ففي سنتي **٣٢٢ ـ ٣٢٣** للهجرة لقي اثنان من القراء المحترفين في بغداد عقابا شديدا حينما أراداشاعة قراءات مخالفة للنص العثماني[١] » .

« فاذا كان هذا هو رأي المسلمين منذ صدر الاسلام ، واذا كان المسلمون قد اتفقوا على أنه لا رأي في القراءة بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عمل الا بما يثبت عنه ، ولا قبول الا لما قرأ به ، كانت النتائج التي وصل اليها خاطئة وكان استنباطه غير قائم على أساس سليم[٢] » .

ونضيف الى ما تقدم :

٥ ـ ان الاختلافات بين المصاحف الأئمة كانت قليلة ، فالاختلاف بين مصحفي أهل المدينة والعراق كان في اثني عشر حرفا ، وبين مصحفي أهل الشام والعراق كان نحو أربعين حرفا ، وبين مصحفي أهل الكوفة والبصرة كان في خمسة أحرف .

وقد عقد لها فصل خاص في مقدمة كتاب المباني ، ذكر فيه اعدادها وأمثلتها وهو (الفصل الخامس في اختلاف المصاحف والقراءات والقول في كيفيتها) .

٦ ـ وجود حروف كثيرة خالف القراء في بعضها مرسوم المصاحف كالذي مر في شرح أبي شامة . وفي بعضها مرسوم بعض المصاحف وقد تكفلت ببيان ذلك وتقديم احصائيات تلكم المخالفات وعرض أمثلتها كتب رسم القرآن .

٧ ـ قيام اختلاف مرسوم المصاحف على أساس من اختلاف القراءات المروية عن

---

(١) كولد تسيهر ص ٦٤ .
(٢) مجلة المربد ٩٧ ـ ٩٨ .

النبي (ص) . ومعنى هذا أن القراءات لم تقم على أساس من اختلاف مرسوم المصاحف كما ذهب اليه كولد تسيهر ومن تابعه .

يقول الداني في المقنع[1] : « قال أبو عمرو : فان سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف . قلت : السبب في ذلك ـ عندنا ـ أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها ، مما لا يصح ولا يثبت نظرا للامة واحتياطا على أهل الملة ، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله ـ عز وجل ـ كذلك منزلة ، ومن رسول الله (ص) مسموعة ، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن الا باعادة الكلمة مرتين ، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ، ما لا خفاء به ففرقها في المصاحف لذلك ، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الامة كما نزلت من عند الله ـ عز وجل ـ وعلى ما سمعت من رسول الله (ص) .

فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الامصار .

ويشير اليه أيضا المهدوي : « ان جميع هذه القراءات التي نزل عليها القرآن داخلة في خط المصحف المجتمع عليه غير خارجة عنه[2] » .

ومن كل هذا نخلص الى أن القراءات القرآنية ترجع في اختلافها الى سببين رئيسين هما :

١ ـ تعدد النزول :

ويدخل فيه قراءة النبي (ص) وكثير من المروى عن الصحابة (ر) عن النبي (ص) وبعض من تقرير النبي (ص) .

---

(١) ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) مختصر وجوه القراءات ، مصورة معهد المخطوطات العربية .

٢ ـ تعدد اللهجات :

ويدخل فيه القليل من فعل النبي (ص) والكثير من تقريره (ص) .
وكذلك نخلص الى أن هذا التعدد في القراءات كان تيسيرا وتوسعة على الامة الاسلامية وهي الامة المرحومة .

وعند رجوعنا الى ما وقفنا عليه في تطور القراءات ، نخلص الى أن جملة من هذه القراءات قد شملتها عملية التشذيذ .

الفصل الخامس

الاختيار في القراءات



الاختيار في القراءات

بعد أن عرفنا مصادر القراءات ووجوه وأسباب اختلافها ، ننتقل الى التعـريف باختياراتها ، النابعة من تلكم المصادر والوجوه .

قلت فيما مضى من تاريخ القراءات : في النصف الثاني من القرن الاول الهجري والنصف الاول من القـرن الثانـي الهجـري كانـت مرحلـة نشـوء الاختيار في القراءات ، حيث قام كل فرد من القراء في تلكم الفترة بالنظر فيما روى من حروف قرائية مختلفة واختار من بينها حروفه على أساس من مقياس معين انتهجه في الموازنة والاختيار ، قد يرجع الى مستوى وثاقة السند ، وقد يرجـع الـى قوة الوجـه في العربية وقد يرجع الى مطابقة الرسم ، وربما رجع الى عوامل أخرى .

ثم بعد اختياره يتبناه فينسب اليه ، ويسمى اختياره وحرفه .

وفي ضوئه : نستطيع أن نعرف الاختيار : بأنه الحرف الذي يختاره القارىء من بين مروياته مجتهداً في اختياره .

فنافع ـ مثلا ـ قرأ على سبعين من التابعين واختار مما قرأه ورواه عنهم ما اتفق عليه اثنان وترك ما سواه . وهكذا سائر القراء .

وعبارة القرطبي التالية تعطينـا صورة واضحـة عما قلـت ، قال في تفسـيره[1] : « وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء ، وذلك أن كل واحد منهم اختار مما روي وعلم وجهه من القـراءات ما هو الاحسـن عنـده والاولى ،

---

(١) ١٥/ ٤٠ .

فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ، ونسب اليه ، فقيل حرف نافع وحرف ابن كثير » .

وتَعرفُنا على معنى الاختيار في القراءات يؤكد لنا أيضاً أن اجتهاد القراء لِم يكن في وضع القراءات ـ كما توهم البعض ـ وانما في اختيار الرواية ، وفرق بين الاجتهاد في اختيار الرواية والاجتهاد في وضع القراءة .

والحظر المجمع عليه عند المسلمين منصب على الاجتهاد في وضع القراءة لا الاجتهاد في اختيار الرواية . واليه يشير ابن الجزري بقوله عن نسبة القراءة الى القارىء بأنها « اضافة اختيار ودوام ولزوم لا اضافة اختراع ورأي واجتهاد»[1] .

ويعني بذلك أن القارىء يختار القراءة ويداوم عليها ويلزمها ، حتى يشتهر بها ويقصد اليه فيها فتنسب اليه .

والاختيار عند القراء الاوائل كالسبعة أو العشرة أو من سبقهم أو عاصرهم كان ينبع من المصادر والوجوه كما أسلفت .

والاختيار عند العلماء وأهل الاداء ممن تأخر عن أولئك السلف الصالح من القراء كان اختيارا من وفي حروف القراء السبعة أو العشرة كاختيارات الداني وابن الجزري من المتقدمين ، واختيارات الضّباع والحصري من المحدثين .

---

(١) النشر ١/ ٥٢ .

الفصل السادس

المقياس القرائي



المقياس القرائي

ذكرت ـ فيما سبق ـ أن القراء وضعوا مقاييس للقراءة المتواترة ، ليميزوا به المتواتر من الشاذ . ومرت هذه المقاييس بمراحل مختلفة تطورت فيها وفق متطلبات علم القراءات وملابساته .

وأقدم مقياس وقفنا عليه هو مقياس ابن مجاهد ثم تلاه مقياس ابن خالويه فمقياس مكي بن أبي طالب ، ثم مقياس الكواشي ، وأخيرا مقياس ابن الجزري الذي استقر عليه العرف القرائي حتى اليوم .

وكانت تلكم المقاييس كما يلي :

١ ـ مقياس ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، وهو :

أ ـ أن يكون القارىء مجمعاً على قراءته من قبل أهل مصره .

ب ـ أن يكون اجماع أهل مصره على قراءته قائما على أساس من توفره على العلم بالقراءة واللغة اصالة وعمقا .

٢ ـ مقياس ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ، وهو :

أ ـ مطابقة القراءة للرسم .

ب ـ موافقة القراءة للعربية .

ج ـ توارث نقل القراءة .

٣ ـ مقياس ابن أبي طالب المتوفى سنة ٤٣٧ هـ ، وهو :

آ ـ قوة وجه القراءة في العربية .
ب ـ مطابقة القراءة للرسم .

ج ـ اجتماع العامة عليها .

٤ ـ مقياس الكواشي المتوفى سنة ٦٨٠ هـ ، وهو :

أ ـ صحة السند .

ب ـ موافقة العربية .

ج ـ مطابقة الرسم .

٥ ـ مقياس ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، وهو :

أ ـ صحة السند .

ب ـ موافقة العربية مطلقا .

ج ـ مطابقة الرسْم ولو تقديرا .

والموازنة بين المقاييس المذكورة تنهينا الى النتائج التالية :

١ ـ ان مقياس ابن مجاهد ينظر الى القارىء نفسه ، ويقوّمه مباشرة .

ولعله يرى أن تقويم القارىء تقويم لقراءته ، بينما تنظر المقاييس التي تلتـه الى القراءة وتقومها مباشرة .

٢ ـ اتفاق المقاييس الاربعة من ابن خالويه حتى ابن الجزري على اشتراط (مطابقة

الرسم) و (موافقة العربية) ، مع اختلاف يسير بين مكي بن أبي طالب حيث اشترط قوة الوجه في العربية ، وبين ابن الجزري حيث وسّع في شرط موافقة العربية الى ما يشمل كل الوجوه في العربية ، قوية كانت أو سواها .

وللظروف التي أحاطت بالقراءات أثر في هذا التطور من التضييق في دائرة شرط موافقة العربية عند مكي الى التوسعة عند ابن الجزري .

كما وسّع ابن الجزري أيضا في شرط مطابقة الرسم بقوله (ولو تقديرا) . ويعني فيه ادخال مثل قراءة (مالك)[1] ـ بالالف ـ التي يحتملها رسم كلمة (ملك) بتقدير الالف .

٣ ـ يبدأ الشرط الاخر (أعني غير مطابقة الرسم وموافقة العربية) عند ابن مجاهد باجماع أهل مصر القارىء ، وهو شرط فيه شيء من التوسعة في مقابل ما تطور اليه عند ابن أبي طالب الذي فسر (العامة) باتفاق أهل المدينة والكوفة ، أو باتفاق أهل الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) .

بينما نجده عند ابن خالويه يشير الى (صحة السند) ، لان توارث النقل لا يعني ـ فيما أفهمه ـ الا صحة السند .

ومن المظنون قويا أن ابن مجاهد وابن أبي طالب يشيران بـ (اجماع أهل المصر أو المصرين) وبـ (اتفاق العامة) الى (صحة السند) أيضا ، لانهما التزما الرواية بتدوين القراءات في كتبهما ، ولان اتفاق أهل المصر أو المصرين على القراءة ، وكذلك اتفاق العامة عليها ، يعني الاتفاق على روايتها وبلوغ الرواية مبلغ التواتر أو الشهرة المفيدة للعلم على الاقل .

وبعد هذا نستطيع أن نخلص الى النتيجة الاخيرة وهي : أن أركان القراءة

---

(١) الفاتحة/ ٤ .

المتواترة هي :

١ ـ صحة السند .

٢ ـ مطابقة الرسم .

٣ ـ موافقة العربية .

ولا أخال اننا بحاجة الى تقييد الاركان بما ذكره ابن الجزري . وخاصة بعد أن استقر العرف القرائي على ما هدف اليه ابن الجزري ، وبعد أن توسع أفق العربية الى ما يلتقي وجميع القراءات المتواترة ـ كما سيأتي توضيحه ـ وبعد استقرار العرف القرائي في معرفة الرسم بالرجوع الى الرواية وما يذكره علماء الرسم من ضبط كلمات التنزيل .

وسنوضح فيما يليه مقصودهم من كل ركن من هذه الاركان الثلاثة .

ومما تجدر الاشارة اليه ـ هنا ـ ظهور مقياسين آخرين في عهد ابن مجاهد من مقرئين معاصرين له هما :

ابن شبنود المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ومقياسه :

١ ـ صحة السند .

٢ ـ موافقة العربية .

وابن مقسم المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ومقياسه :

١ ـ مطابقة الرسم .

٢ ـ موافقة العربية .

الا أنهما ماتا في مهدهما لعدم اشتراط الاول منهما مطابقة الرسم ، وعدم اشتراط الثاني صحة السند .

١ ـ الرواية القرائية :

لا يختلف علماء القراءة في اشتراط صحة سند رواية القـراءة المتواتـرة ـ كما سميناها في تعريفنا بأقسام القراءة .

وانما اختلفوا في مستوى صحة السند على أقوال هي :

١ ـ الشهرة المفيدة للعلم ، وقد يعبرون عنها بـ (الاستفاضة) وهو رأي محققي المتقدمين .

٢ ـ التواتر :

وهو رأي الجمهور .

٣ ـ التواتر أو الاستفاضة :

وهو رأي ابن الجزري .

٤ ـ افادة العلم مطلقا :

ويعني به أن يأتي السند مفيداً للقطع سواء كان مستفيضـا أم متواتـرا أم آحـادا اقترنت بما يفيد القطع .

ويفهم هذا من أمثال ما دوّنه ابن مجاهد في (السبعة) مما تفرد بروايته راو واحد في طبقته أو جيله ، كرواية بكار بن عبد اللـه بن كثـير قراءة أبيه (لاحـدى)[1] بلا ألف .

ونخلص ـ هنا الى النتيجة التالية :

---

(١) المدثر . ٣٥

ان جميع العلماء يشترطون في صحة سند القراءة المتواترة افادته العلم بصدور الرواية عن النبي (ص) فعلا أو تقريرا .

ويرجع هذا الى عدم تفرقتهم بين القرآن والقراءة المتواترة ، ولان القرآن لا يثبت الا بالتواتر ، أي لا بد من العلم بأن ما يقرأ به هو قرآن .

٢ ـ مطابقة الرسم :

بعد تعرفنا على مقصود القراء من صحة السند في القراءات ، ننتقل الى التعريف بمقصودهم من (مطابقة الرسم) الذي اشترط عنصراً أساسيا في مقاييس القراءة المتواترة التي مر التعريف بها .

يعني القراء بالرسم : ما كتبت عليه المصاحف الأئمة في عهد عثمان وبأمره .

وكان اشتراطهم مطابقة القراءات المتواترة لمرسوم المصاحف الأئمة قائما على أساس أن الخليفة عثمان عندما أمر بتوحيد المصاحف وكتابتها استهدف أن ينطوي مرسوم المصاحف على جميع الحروف التي استقر عليها نص القرآن في العرضة الاخيرة .

ويعني هذا أن اشتراط مطابقة المصاحف الأئمة كان وقاية من دخول القراءات الاحادية والشاذة في اطار القراءات المتواترة التي تجوز القراءة بها .

ولنعد ـ هنا النظر في نص الانتصار : « لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحتين ، وانما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي (ص) والغاء ما ليس كذلك ، وأخْذَهم بمصحف واحد باتفاق المهاجرين والانصار لما خشي الفتنة باختلاف أهل العراق والشام في بعض الحروف[1] » .

---

(١) المواهب الفتحية ٢ / ٨٦ .

ومن هنا جوزوا القراءة بما يخالف المصحف اذا كان متواترا ، وتلقوا الحروف المتواترة المخالفة للرسم بالقبول .

وبغية أن يحافظوا على ما توخوه من منع تسرب القراءات غير المتواترة الى مجال القراءات المتواترة ، قاموا باحصاء الحروف المخالفة لرسوم المصاحف الأئمة وبالنص عليها وبوضع وتدوين علم اختلاف مرسوم المصاحف أو علم رسم القرآن أو هجاء المصاحف ـ كما يسميه بعضهم .

ونصوا على وجوب تعلم هذا العلم لمعرفة الحروف المخالفة للرسم المنصوص عليها لمن لم يعرف القراءات المتواترة معرفة صحيحة ، ليحقق اشتراط مطابقة المصحف في القراءة المتواترة ما قصدوا اليه من الحفاظ على القراءات المتواترة ، والوقاية من تسرب غيرها اليها .

ونعيد ـ هنا ـ نص « غيث النفع » الذي سبق أن قدمناه ، لنرى ما يلقيه من ضوء على هذه المسألة ، وهو : « قال الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن الحاج في (المدخل) : لا يجوز لاحد أن يقرأ بما في المصحف الاّ بعد أن يتعلم القراءة على وجهها ، أو يتعلم مرسوم المصحف وما يخالف منه القراءة ، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الامة » .

ولعل أقدم من ألّف في هذا الفن هو عبد الله بن عامر مقرىء الشام المتوفى سنة ١١٨ هـ ، واسم مؤلفه ـ كما تقدم ـ (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق) .

ومن أشهر ما وصلنا من مؤلفات الاقدمين في هذا الفن مطبوعا :

١ ـ كتاب المصاحف لعبد الله بن سليمان بن الاشعث السجستاني المتوفى سنة ٣١٦ هـ .

٢ ـ هجاء مصاحف الامصار لاحمد بن عمار المهدوي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

٣ ـ المقنع لابي عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ .

٤ ـ النقط والشكل للداني أيضا .

وفي هذه الكتب وأمثالها يوقف على القراءات المتواترة المخالفة لخط المصاحف الأئمة ، والتي أجمع القراء على قبولها والقراءة بها ، أمثال : الوقف بالهاء على ما كتب بالتاء نحو (امرأت)[١] و (نعمت)[٢] و (ابنت)[٣] واثبات ياء الاضافة في مواضع لم ترسم بها ، واثبات الواو في (ويدع الانسان)[٤] و(يوم يدع الداع)[٥] و(سندع الزبانية)[٦] و (يمح الله الباطل)[٧] ، والحاق هاء السكت بـ (ما) الاستفهامية المجرورة في قراءة البزي (عمه . فيمه ـ لمه . بمه . معه) واثبات الالف في (أيه المؤمنون)[٨] و (يا أيه الساحر)[٩] و (ايه الثقلان)[١٠] وحذف الالف الثانية في (لا أقسم بيوم القيامة)[١١] في قراءة ابن كثير ، وحذف الالف الاولى عند الجميع من (لا أذبحنه)[١٢] وغيره .

أما الطريقة التي اتبعها كَتَبَةُ الخليفة عثمان في توزيع القراءات على المصاحف الأئمة فكما يلي :

---

(١) آل عمران/ ٣٥ .
(٢) البقرة/ ٢١١
(٣) التحريم/ ١٢ .
(٤) الاسراء/ ١١ .
(٥) القمر/ ٦ .
(٦) العلق/ ١٨ .
(٧) الشورى/ ٢٤ .
(٨) النور/ ٣١ .
(٩) الزخرف/ ٤٩ .
(١٠) الرحمن/ ٣١ .
(١١) القيامة/ ١ .
(١٢) النمل/ ٢١ .

١ ـ اذا كانت صورة الكلمة لا تحتمل أكثر من قراءة واحدة ـ وثبتت قراءتها بصورة أخرى ـ فرّقوا في كتابتها ، فكتبوها في مصحف وفق قراءة ، وفي آخر وفق أخرى .

وذلك مثل (قال موسى)[1] التي كتبت في مصحف مكة بلا واو ، وفي سواه من المصاحف بالواو : (وقال موسى) ، ومثل (يا عباد)[2] التي كتبت في بعضها بغير ياء ، وفي بعضها الاخر بالياء : (يا عبادي) .

ونرجع ـ هنا ـ الى قول الداني في المقنع : « فان سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف .

قلت : السبب في ذلك ـ عندنا ـ أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة ، وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها ، مما لا يصح ولا يثبت نظراً للامة واحتياطا على أهل الملة ، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله ـ عز وجل ـ كذلك منزلة ، ومن رسول الله (ص) مسموعة ، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال . غير متمكن الا باعادة الكلمة مرتين ، وفي رسم ذلك كذلك ، من التخليط والتغيير للمرسوم ما لاخفاء به ، ففرّقها في المصاحف لذلك ، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها ، لكي تحفظها الامة كما نزلت من عند الله عز وجل ، وعلى ما سمعت من رسول الله (ص) . فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الامصار »[3] وقد توخوا في توزيع القراءات على المصاحف أن تكون القراءة موافقة في الغالب للهجة القطر الذي أرسل اليه المصحف .

٢ ـ واذا كانت صورة الكلمة تحتمل القراءات المختلفة بسبب عدم وجود النقط

---

(١) القصص/ ٣٧ .
(٢) الزخرف/ ٦٨ .
(٣) المقنع ١١٤ ـ ١١٥ .

والشكل كتبوها بصورة واحدة في جميع المصاحف مثل (فتبينوا)[1] و (فتثبتوا) ومثل (فتلقى آدم من ربه كلمات)[2] معتمدين في بيان الفرق بينها على الرواية ، وعلى المحفوظ ، واقراء القراء الذين بعثهم عثمان الى الامصار مع المصاحف .

وما قام به عثمان كان علاجاً من جانب لمشكلة الاختلاف بين المسلمين في القراءات الذي قد يؤدي الى الفتنة بينهم ، والى الفوضى في القراءات ، فأراد أن يقصرهم على القراءات المتواترة ، وكان علاجا ناجحا ، وهو من جانب آخر وقاية ومانع من تسرب القراءات غير المتواترة الى تلاوة القرآن .

وبقي الامر على هذا ، حتى أصبح عدم النقط والشكل سبباً في دخول ما قصد عثمان والصحابة الى عدم دخوله في تلاوة القرآن من القراءات غير المتواترة ، وذلك بسبب كثرة التصحيف وانتشاره ، وبخاصة في العراق حيث يكثر الاعاجم هناك ، وقد توسع انتشاره في عهد الامام علي الامر الذي دعا تلميذه أبا الاسود الدؤلي الى وضع شكل القرآن . ثم في عهد عبد الملك بن مروان ، ففزع واليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي للقيام بمهمة النقط وتم ذلك على يد نصر بن عاصم ويحيى ابن يَعْمُر المتوفين سنة ٩٠ هـ ، وكانا من مشهوري وثقات النحاة والقراء ، جاء في كتاب (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) لابي أحمد العسكري : « وقد روي أن السبب في نقط المصاحف أن الناس غبروا يقرؤون في مصاحف عثمان ـ رحمة الله عليه ـ نيفاً وأربعين سنة الى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج الى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات[3] » .

وكان عمل هؤلاء العلماء مقصورا على النقط والشكل من دون أن يغيروا في صورة الكلمة . فبقي ما اختلف فيه بين الرسم والرواية على ما هو عليه ، وظل يُرجع في

---

(١) الحجرات/ ٦ .

(٢) البقرة/ ٣٧ .

(٣) الحياة العلمية في الشام ص ٣٥ نقلا عن العسكري ص ١٣ .

معرفته الى الرواية والى كتب رسم القرآن ، وذلك في مثـل (جـاىء ـ جاء)[1] في مصحف مكة ، ومثل (لا اذبحنه)[2] بزيادة الالف الاولى في جميع المصاحف .

وكان ذلك احتياطا منهم لئلا يفسح المجال للتغيير في القراءات فيدخل فيها ما احترز منه سابقا .

ويبدو أن النقط والشكل في المصاحف اتبع فيهما انتهاج رواية أهل بلد المصحف وقراءتهم التي تلقوها من مبعوثي عثمان .

ونستظهر هذا من بعض اختلاف القـراء السبعـة الراجـع الى اختـلاف مرسـوم المصاحف مما أشرت اليه سابقا .

وبعد نقط وشكل المصحف جاء دور استنساخ المصاحف بألوان الحبـر المختلفـة وذلك بأن يكتب المصحف وفـق إحـدى القـراءات السبـع بلـون خاص وتكتـب القراءات الاخرى بلون آخر يفرق بينها ، بعد أن أصبحت الكلمة لا تحتمل أكثر من قراءة واحدة بسبب نقطها وشكلها[3] .

وعندما استقر عمل المشارقة على كتابة القرآن وفق رواية حفص عن عاصم ، كتبوه بالحبر الاسود ، والقراءات الاخرى بالحبر الاحمر[4] .

وكانت أول طباعة للمصحف بمصر ، وفق قواعد الرسم سنة ١٣٠٨ هـ من قبل الشيخ رضوان بن محمد المخللاتي[5] .

---

(١) الزمر/ ٦٩ .
(٢) النمل/ ٢١ .
(٣)راجع : غيث النفع ص ٣٨ .
(٤) راجع روضات الجنات ص ٢٦٣ .
(٥) السبيل الى ضبط كلمات التنزيل ص ٥٧ .

وبعد أن ظهرت بعض مظاهر الخلاف في كتابته ـ طبع مصححاً وفق قواعد الرسم أيضا من قبل لجنة عقدتها وزارة المعارف المصرية في العقد الرابع من هذا القرن (الرابع عشر الهجري) مؤلفة من الاساتذة حفني ناصيف وأحمد الاسكندري ومصطفى عناني باشراف مشيخة الازهر ، وبعد أن أقر من قبل شيخ المقارىء المصرية الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني ، وشيخ الجامع الازهر الشيخ محمد أبو الفضل بتاريخ ١٠ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ هـ [١] .

ثم طبع في عام ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣ م بالقاهرة وفق رواية حفص لقراءة عاصم فقط وباشراف مشيخة الازهر واقرار اللجنة المعينة من قبل الملك فؤاد الاول والمؤلفة من الاساتذة : الشيخ محمد علي النجار الاستاذ بكلية اللغة العربية والشيخ عبد الحليم بسيوني مدير مكتب شيخ الجامع الازهر والشيخ علي محمد الضبّاع شيخ المقارىء المصرية .

وقد تلافت اللجنة المذكورة في طباعته ما لوحظ على اللجنة السابقة .

« وتلقى العالم الاسلامي هذا المصحف بالقبول وأصبحت ملايين النسخ التي تطبع منه سنويا هي وحدها المتداولة أو تكاد تكون وحدها متداولة لاجماع العلماء في مشارق الارض ومغاربها على الدقة الكاملة في رسمه وكتابته[٢] » .

وبعد ذلك سجل المصحف على اسطوانات وأشرطة ، مرتلا بصوت أشهر المقرئين المعاصرين مثل الشيخ محمود خليل الحصري[٣] . وذلك للحفاظ على النص الصوتي للقراءة القرآنية .

---

(١) عبد الحميد حسن (في ذكرى حفني ناصف) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠ جـ ٢٦ ص ٤٤ .

(٢) مباحث في علوم القرآن ١٠٠ وراجع : السبيل الى ضبط كلمات التنزيل ص ٥٨ .

(٣) يراجع كتاب (المصحف المرتل) للاطلاع على الموضوع أكثر .

وكل هذه الاعمال مبتدأة بعمل الخليفة عثمان ومنتهية حتى الان بـ (المصحف المرتل) استهدف منها المحافظة على نظام القراءات المتواترة ، من أن تتسرب اليه الفوضى أو يدخله ما ليس بمتواتر .

والحفاظ على ضبط نص القرآن الكريم ومتنه لئلا يلحن في قراءته أو يغير في لفظه .

٣ ـ موافقة العربية :

أما الركن الاساسي الاخر الذي اشترطوه في القراءات المتواترة وهو (موافقة العربية) . فالمعني به ـ هنا ـ موافقة القراءات للقواعد والاراء النحوية المستقاة من النطق العربي الفصيح .

وقد كان العامل في اشتراطه لا يختلف عن العامل في اشتراط (مطابقة الرسم) وذلك أن علماء القراءات رأوا أن القراءات المتواترة لا تخالف العربية ، فما من قراءة من المتواترة الا وتلتقي مع مذهب أو رأي نحوي ، بينما القراءات الشاذة جاء فيها ما يخالف القواعد النحوية .

ولاجل أن يخرجوا الشواذ عن مجال المتواترات ، ويقوا المتواترات من تسربها اليها وضعوا هذا الشرط ، كما هدفوا الى مثله في اشتراط مطابقة الرسم .

وهم ـ فيما يبدو لي ـ لم يقصدوا أن يخضعوا القراءات للقواعد النحوية ، والا لما ناقشوا بعض النحاة وردوهم فيما رفضوا من قراءات متواترة أمثال قراءة حمزة (والارحام)[١] بالجر ، وقراءة ابن عامر (قتلَ أولادَهم شركائِهم)[٢] بالفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول المصدر .

ومنه ندرك أن هذا الشرط كان شرطاً وقائياً كسابقه ، كما أوضحت هذا فيما

---

(١) النساء/ ١ .

(٢) الانعام/ ١٣٧ .

تقدم . وندرك أنه لا يقصد منه نفي أن تكون القراءات مصدرا من مصادر القواعد النحوية ومقياساً أعلى تقاس بها صحتها .

وفي ضوئه : ندرك أيضاً أن ما وقع فيه بعض النحاة من مفارقات في هذا المجال لا يمس هذا الشرط من قريب أو بعيد حتى يدعى الى الغائه كما نادى به بعضهم[1] .

وفيما أخاله أن وضع مصنفات اعراب القرآن يرجع الى ذلك أي استهدف منها التعريف بموافقة القراءات المتواترة للعربية .

هذا وقد تعرفنا في تعريفنا للمقياس القرائي على التطور الـذي مر به هذا الركن من أركان القراءة المتواترة ، من ابن خالويه الذي أطلق ولم يقيد الى ابن أبي طالب الذي قيده بـ (قوة الوجه) الى الكواشي الذي لم يقيده بشيء كابن خالويه ، ثم الى ابن الجزري الذي وصفه بالاطلاق فوسع في دائرة شموله الى كل وجه في العربية ، وعليه استقر العرف القرائي حتى اليوم .

---

(٢) راجع : أساليب الاستفهام في القرآن ٣٢٩ .

الفصل السابع
القراءات والتجويد



يتعاضد علم القراءات وعلم التجويد في دراسة ما يرتبط بتلاوة القرآن الكريم من مسائل وقضايا .

ومن هنا كان بينهما تداخل في جملة من الموضوعات ، حتى عادت تلك الموضوعات مجالاً مشتركاً بينهما .

وبغية ان نتبين الفرق بين القراءات والتجويد بوضوح علينا أن ننطلق الى ذلك من تعريف كل منهما ، وذكر اسماء موضوعاتهما ، منتهين بعد ذلك الى بيان وتحديد نقاط الالتقاء ونقاط الافتراق .

وهنا نستعيد تعريف إمام علم القراءة وخرّيت صناعتها ابن الجزري للقراءات المتقدم ذكره في الفصل الثاني من الكتاب ، وهو :

« القراءات : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله » .

والمقصود من (كلمات القرآن) في هذا التعريف هو ما يصطلح عليه عند القرائيين بـ (الحروف) ويريدون بها « ما وقع الاختلاف فيه بين القراء من كلم القرآن سواء كان حرفاً في اصطلاح النحويين أو اسماً أو فعلاً »[1] .

ويعني هذا أن علم القراءات يتوفر على دراسة كيفية اداء الكلمة القرآنية .

ونستطيع أن نصوغه بتعبير آخر فنقول : ان علم القراءة يبحث في الصورة اللفظية للكلمة القرآنية .

واذا رجعنا الى كتب القراءات لمعرفة ما تدرسه من موضوعات نجدها تصنف الموضوعات القرائية الى نوعين هما :

---

(١) سراج القارىء ١٤ .

١ ـ الاصول : ويعنى بها الاحكام العامة التي تأخذ شكل قواعد تطرد في عموم الكلمات القرآنية وفق مواردها .

٢ ـ الفروع : ـ ويصطلح عليها بـ (الفرش) ايضاً ـ ويراد بها الاحكام الخاصة التي تقتصر على مواردها الجزئية فقط .

والاصول القرائية هي أمثال : الادغام . هاء الكناية . المد والقصر . الهمز . احكام النون الساكنة والتنوين . الفتح والامالة وبين اللفظين . الوقف .

والفرش القرائي هو أمثال : ما ورد في قراءات سورة (الفاتحة) حيث قرأ عاصم والكسائي (مالك) بالألف ، وقرأ باقي السبعة (ملك) بغير ألف[١] وما ورد في قراءات سورة (الاعراف) حيث قرأ ابن عامر (قليلاً ما يتذكرون ـ ٣ ـ) بالياء من أول الفعل وقرأ باقي السبعة (قليلاً ما تذكرون) بغير ياء .

وقرأ حمزة وابن عامر برواية ابن ذكوان (ومنها تخرجون ـ ٢٥ ـ) وفي الزخرف (وكذلك تخرجون ـ ١١ ـ) بفتح التاء وضم الراء فيهما ، وقرأ الباقون من السبعة بضم التاء وفتح الراء .

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي (ولباس التقوى ـ ٢٦ ـ) بالنصب والباقون بالرفع . وقرأ نافع (خالصة ـ ٣٢ ـ) بالرفع والباقون بالنصب[٢] .

اما التجويد فقد عرّفه الشيخ زكريا الانصاري في (الدقائق المحكمة ـ ص ٨ ـ) بقوله :

« والتجويد لغة : التحسين . واصطلاحاً : تلاوة القرآن باعطاء كل حرف حقه من مخرجه وصفته » .

---

(١) التيسير ١٨
(١) التيسير ١٠٩ .

وعرّفه المقرىء النحوي ابن ام قاسم في كتابه (شرح الواضحة في تجويد الفاتحة) بقوله :

« والتجويد : هو إحكام القراءة واتقانها . ويقال في تعريفه : هو اعطاء كل حرف حقه مخرجاً وصفة .

وقال بعضهم : تجويد القراءة : هو تصحيح الحروف وتقويمها واخراجها من مخارجها وترتيبها مراتبها وردها الى أصولها والحاقها بنظائرها .

وقد اتضح بذلك أن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور :

أحدها : معرفة مخارج الحروف .

الثاني : معرفة صفاتها .

الثالث : معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الاحكام .

الرابع : رياضة اللسان وكثرة التكرار » .

ونستطيع أن نقول بتعبير آخر : ان علم التجويد يبحث في الصورة الصوتية للحرف الهجائي القرآني .

اما موضوعات علم التجويد فهي أمثال : مخارج الحروف . صفات الحروف . احكام الميم الساكنة . احكام النون الساكنة والتنوين . المد . الادغام . الوقف .

وفي ضوء هذا نخلص الى ما يلي :

١ ـ ان علم القراءات وعلم التجويد يلتقيان في دراسة بعض موضوعات ما يعرف بالاصول القرائية عند القرائيين أمثال : احكام النون الساكنة والتنوين والوقف والادغام .

٢ ـ ان علم القراءات يتفرد ببحث ما يعرف بالفرش أو الفروع القرائية .

٣ ـ ان علم التجويد يتفرد ببحث مخارج الحروف وصفاتها .

والذي أقر به ان علم التجويد انبثق من علم القراءات في فترة مبكرة مقتصراً على دراسة احكام الاصوات ، والتي تتمثل بشكل واضح في مخارج الحروف وصفاتها .

وقد نوجز الفرق بين القراءة والتجويد بالتالي :

القراءة : لفظ .

والتجويد : أداء .